

عالمية



روايات

خيال الظل

L'OMBRE CHINOISE



٥٠
مليما

روایات عالیہ

العدد رقم ۴۱۳

خیال الظہل

تألیف : جورج سیمینون

ترجمہ : حمادہ ابراہیم

خيال الظل

كانت الساعة العاشرة مساءً . وكانت أبواب الحديقة الصغيرة مغلقة وسط ميدان « الفوج » الخالي ، وثمة آثار تلمع خطتها العربات فوق الأسفلت ، وغناء النافورات الدائم ، وأشجار بلا أوراق ، ومقاطع أسطح متشابهة كلها ، تتكرر على متوال واحد على صفحة السماء .

وتحت أعمدة النور ، التي تشكل اطارا عجيبا حول الميدان ، اقدر ضئيل من الضوء ، وثلاثة حوانيت أو أربعة . ولح ميجريه ؛ مفتش المباحث أسرة تتناول طعامها داخل حانوت - من تلك الحوانيت - تكسست فيه أكاليل الموتى المرصعة باللؤلؤ .

كان يحاول قراءة الأرقام الموجودة أعلى الأبواب ، ولكنه ما كاد يتعدى حانوت الأكاليل حتى خرج عليه من وسط الظلمة انسان ضئيل :

- أنت الذي اتصلت بك تليفونيا منذ قليل ؟

لا بد وأنها ظلت تترقب فترة طويلة . وعلى الرغم من برد نوفمبر ، فانها لم ترتد ممطفا فوق مئزرها . كان أنفها أحمر ، وعيناها قلقتين .

وعلى بعد لا يبلغ المائة متر ، عند منعطف شارع بشار ، يقوم أحد رجال الشرطة بالحراسة في ذيه الرسمي .

- ألم تخطريه ؟

قالها ميجريه متمتعا :

- كلا ! . بسبب مدام سان مارك ، التي توشك على الوضع .
.. أنظر ! ها هي ذى عربة الطبيب ، الذى استدعى على عجل ..

وكانت هناك ثلاث عربات عند حافة طوار الشارع ، مصابيحها الأمامية مضاءة ، وكذلك نورها الخلفى الأحمر . أما السماء ، حيث كانت بعض السحب تمر على أغوار يغمرها ضوء القمر ، فقد كان يلوح عليها شحوب غامض . فكان الناظر يظن أن تابشير الجليد بسبيلها الى السقوط .

كانت الحارسة قابعة تحت قبو العمارة ، الذى يضيئه مصباح توته خمس وعشرون شمعة ، دكن لونه من أثر التراب .

- سأشرح لك .. هنا ، الفناء .. يجب على المرء أن يجتازه لكي يصل الى أى مكان فى البيت ، ما عدا الحانوتين .. وهذا مسكنى ، الى اليسار .. لاتلق بالا .. لم يكن لدى وقت لكى أضع الأولاد فى السرير ..

كانا طفلين ، ولدا وبنتا ، داخل مطبخ غير منظم . لكن الحارسة لم تدخل . كانت تشير الى مبنى شاهق ، متناسق يقوم فى آخر الفناء الرحيب .

- هناك .. ستفهم ..

كان ميجريه يتأمل بفضول هذه المرأة الضئيلة الغريبة التى كانت يدها المضطربتان تكشفان عن آثار الحمى .

- مطلوب مفتش مباحث فى التليفون !

هكذا قالوا له على طوار المصوغات منذ فترة وجيزة .

لقد سمع صوتا خافتا . فكرر ثلاث مرات أو أربع مرات قائلا :

- ارفعى صوتك ! .. أنا لا أسمعك ! ..

- لا أستطيع .. اننى أتحدث من حانوت الدخان ..

وكانت رسالة متقطعة .

- يجب الحضور فوراً الى رقم « ٦١ » ميدان الفوج .. أجل ! ..

اعتقد أنها جريمة .. ولكن ليت هذا لا يظل خافيا أكثر من ذلك !

وعندئذ راحت الحارسة تشير الى نوافذ الطابق الأول الكبيرة .

وخلف الستائر كانت هناك أشباح تروح وتغدو .

- هناك ..

- الجريمة ؟

- كلا ! مدام سان مارك التي تلد .. اول ولادة لها .. انها ليست متينة البنيان .. هل تدرك ؟ ..

وكان الغناء أشد ظلاما من ميدان الفوج . كان يضيئه مصباح واحد مثبت في الحائط . ويتكهن المرء بوجود سلم خلف باب زجاجي ، ثم نوافذ مضيئة هنا وهناك .

- ولكن الجريمة ؟

- اليك ! في الساعة السادسة ، انصرف العمال من عند كوشيه ..

- لحظة . ماذا تقصدين بـ « من عند كوشيه » ؟

- من المباني التي بالداخل .. معمل تحضر به الأمصال .. لابد أنك تعرف .. أمصال الطبيب رفيير .

- هذه النافذة المضيئة ؟

- انتظر ! نحن في الثلاثين من الشهر .. وعلى ذلك ، فقد كان السيد كوشيه موجودا .. فمن عادته أن يبقى بمفرده بعد غلق المكاتب .. لقد رأيته خلال الزجاج ، جالسا في كرسيه الموسد .. انظر ..

نافذة من الزجاج الحشن ، وشبح غريب ، كانه لانسان منكفيء فوق مكتبه .

- اهذا هو ؟

- أجل . في حوالى الثامنة ، عندما أفرغت وعاء القمامة ، القيت نظرة .. كان يكتب اننا نرى بوضوح اليد التي تمسك ريشة أو قلما ..

- والجريمة في أية ساعة ...

- لحظة ! فصعدت لكى أستفسر عن صحة مدام سان مارك .. ونظرت ثانية وعند نزولى .. كان كما هو الآن ، حتى اننى اعتقدت بأنه كان قد نام

- وبدأ الجزع على ميحريه .

- وبعد ذلك بربع ساعة ...

- أجل ، كان لايزال في نفس المكان ! انتقلنى الى المهم ...

- هذا كل ما فى الأمر ... أردت أن أتأكد ... طرقت باب
المكتب ... لم يجب أحد ودخلت ... كان ميتا ... والمم منتشرا
فى كل مكان ...

- لماذا لم تخبرى قسم الشرطة ؟ انه على بعد خطوتين
بشارع بشار ...

- ويحضر الجميع فى الزى العسكرى ! . ويقلبون البيت !
لقد قلت لك أن مدام سان مارك ...

كان ميجريه يضع يديه فى جيبيه ، وغليونه بين أسنانه
وراح ينظر الى نوافذ الطابق الأول، وانتابه شعور بأن اللحظة تقترب،
فقد زاد الاضطراب . وسمع صوت باب يفتح ، وخطوات أقدام على
السلم . وظهر فى الفناء خيال جانبى طويل عريض ، فراحت
الحارسه نتمتم قائلة ، وهى على ذراع مفتش المباحث :
- السيد سان مارك .. انه سفير قديم ..

أما الرجل الذى لم تتضح معالم وجهه ، فقد توقف ، ثم عاد
الى السير ، ثم توقف ثانية ، وهو لا يكف عن مراقبة نوافذ
شققه .

- لابد أنهم أرسلوه الى الخارج .. هكذا ، حالا .. تعال ..
حسن ! . هاهما والحاكى مرة أخرى ! . وفوق أسرة سان مارك
بالضبط ! كانت هناك فى الطابق الثانى ، نافذة صغيرة ، أردا
أضاءة . كانت مغلقة وتمع موسيقى حاكى يخمنها المرء أكثر مما
يسمعا .

أما الحارسه ، وكانت متأثرة ، محمرة العينين ، مضطربة
اليدين ، فقد سارت متجهة الى أقصى الفناء ، وكانت تشير الى سلم
صغير وباب منفرج .

- ستراه الى اليسار ... اننى أفضل ألا ادخل .

مكتب عادى . اثاث فاتح اللون ، ورق جدران «سادة» .
ورجل فى الأربعين من عمره ، جالس فى كرسى ذى مسندين
ورأسه فوق الأوراق المتناثرة أمامه . لقد تلقى طلقه فى صميم
صدره .

وأصقى ميجريه السمع : كانت الحارسة لا تزال فى انتظاره
أفى الخارج ، والسيد سان مارك لا يكف عن ذرع الفناء . ومن آن
لآخر ، تمرق فى الميدان عربة تزيد ضوضاؤها من اطباق الضمت
الذى كان يتبعها .

لم يمس مفتش المباحث شيئا . لقد تأكد فقط أن السلاح غير
موجود فى المكتب ، وبقي ثلاث دقائق أو أربعا ينظر حواليه وهو
يسحب أنفاسا صغيرة من غليونه ، ثم خرج بادى الاصرار .
— ماذا ؟

كانت الحارسة لا تزال موجودة . كانت تتكلم بصوت خفيض .
— لاشئ ! لقد مات !

— لقد أرسلوا منذ برهة فى استدعاء السيد سان مارك الى
قوق ...

كان ثمة هرج ومرج فى الشقة . أبواب تصطك . شخص ما
يجرى .
فتمتم ميجريه وهو يحك قفاه :

— انها بالغة الوهن !
— عجبا ! ولكن الامر لا يتعلق بذلك . هل لديك فكرة عن
الشخص الذى يمكن أن يكون قد دخل المكتب ؟
— أنا ؟ .. كيف ؟

— آسف ! من مسكنك ، لابد وانك ترين المستأجرين وهم
يمرون .

— كنت أستطيع ! لو كان المالك ينزلنى فى مسكن مناسب
ولا يبيال بالاضاعة ... اننى لا اكاد اسمع بعض الخطوات ، والمج
بعض الأشباح ، فى المساء ... وهناك خطوات أتعرف عليها ...
— ألم تلاحظى شيئا غير عادى منذ الساعة السادسة ؟

— أبدا ! لقد أتى جميع المستأجرين تقريبا وأفرغوا أو عيسة
قاذوراتهم ... هنا ، الى يمين مسكنى ... هل ترى صناديق

القمامة الثلاثة ؟ ... ليس من حقهم أن يأتوا لافراغها قبل
السابعة مساء ...

- ولم يدخل أحد من القبو ؟

- كيف تريدني أن أعرف ؟ ... يبدو أنك لا تعرف العمارة
... هناك ثمانية وعشرون مستأجرا ... بالإضافة إلى شركة
لكوشيه ، حيث الذهاب والاياب الدائمان .

ويسمع وقع أقدام في الدهليز ، ويلج إلى الفناء رجل يغطي
رأسه بقبعة ، وينعطف إلى اليسار ، ويقترب من أوعية القمامة ،
ويتناول صندوقا فارغا . وعلى الرغم من الظلام ، فلا بد أنه لم
يجريه والحارس ، لأنه مكث ثابتا لحظة ، وأخيرا نطق قائلا :

- لاشئ لي ؟

- لاشئ ، ياسيدي مارتان ...

واستعلم مجريه قائلا :

- من يكون ؟

- السيد مارتان ، موظف في مكتب التسجيل ، يسكن مع
زوجته في الطابق الثاني .

- وأية مصادفة جعلت صندوق قمامته ؟ ...

- كلهم تقريبا يفعلون هذا عندما يريدون الخروج ... ينزلونه
عند انصرافهم ، ويستعيدونه عند رجوعهم ... هل سمعت ؟
- ماذا ؟

- يخيل لي ... كصرخة مولود جديد ... فقط لو أنهما ،
فوق ، يوقفان هذا الحاكي الملعون ! ... لاحظ أنهما يعلمان تمام
العلم أن مدام سان مارك تضع ...

وهرولت ناحية السلم الذي كان ينزله شخص ما .

- ماذا يادكتور ؟ ... ولد ؟ ...

- بنت .

ومضى الطبيب . وسمع وهو بهيئ العربية المسير ، وينطلق .

وراح المنزل يواصل حياته اليومية • الفناء المظلم • القبو ومصباحه الكثيب • النوافذ المضيئة وموسيقى الحاكى الغامضة • كان الميت لا يزال فى مكتبه ، وحيدا ، ورأسه فوق بعض الرسائل المتناثرة •

وعلى حين فجأة تدوى صرخة ، فى الطابق الثانى • صرخة حادة كأنها نداء يائس • لكن الحارسة لا تفزع لذلك ، وتنهدت وهى تدفع باب مسكنها •

٦

- حسنا ! المجنونة مرة أخرى ...

وصرخت بدورها ، لأن أحد ولديها كان قد هشم طابقا • وعلى الضوء ، رأى ميجريه وجهها نحىلا ، مرهقا ، وجسدا لا يبين عن سن •

وسالت الحارسة قائلة :

- متى ستبدأ جميع الاجراءات ؟

وفى مواجهة المنزل ، كان حانوت الدخان لا يزال مفتوحا ، وبعد دقائق أغلق ميجريه على نفسه التليفون ، وبصوت خافت ، هو أيضا ، راح يعطى بعض التعليمات •

- نعم ... النيابة ... ٦١ ... تقريبا عند منحنى شارع التورين ...

ولتخطط ادارة تحقيق الشخصية ... الو ! ... أجل ، ساطل فى مكان الحادث ...

وخطا بضم خطوات على الطوار ، ثم ولج بطريفة آلية تحت القبو واستقر أخيرا وسط الفناء ، عابى الوجه ، مضموم الكتفين من اثر البرد •

وفى النوافذ ، شرعت الأنوار تخبو • وكان الميت لا نفتأ يرسم قطوعا من خيال الظل فوق الزجاج الحشن •

وتوقفت عربة أجرة • لم تكن عربة النيابة بعد • وزاحت امرأة شابة تجتاز الفناء بخطى حثيثة ، تاركة وراءها أثرا معطرا • ثم دفعت باب المكتب •

وجل انيق

سلسلة كاملة من المناورات الزائفة أدت الى موقف مهنك «
كما ان اكتشفت المرأة الجثة ، حتى عادت من فورها . وفي اطار
الباب ، لمحت شبح ميجريه الطويل . تجمع الى للصور : القتل
من ناحية ، والقائل من ناحية اخرى .

وهي كذلك جاحظة العينين ، وجسمها منقبض على بعقصة
اليعض ، اذا بها تفتح فاهها لتستغيث ، فتسقط حقيبة يدها .
ولم يكن لدى ميجريه وقت للجدال . لقد جذبها من ذراعها
واطبق بيده على فمها .

— صه ! ... انت مخطئة ! ... شرطة ...

وخلال الفترة التي كانت تحقق فيها من معنى هذه الكلمات
كانت تجتهد لتخليص نفسها ، فقد كانت امرأة عصبية ، وحاولت
أن تعض ، وكالت من الخلف ضربات بكعب حذاءها .

وطفلق حرير : انها حمالة الثوب .

واخيرا هذا كل شيء . فراح ميجريه يكرر :

— ولا صوت ! انا من الشرطة .. لا فائدة من اثارة البيوت ..

كان ما يميز تلك الجريمة ، هو ذلك الصمت الغريب في مثل
هذه الحال ، ذلك الهدوء ، وأولئك المستأجرون الثمانية والعشرون
الذين كانوا يواصلون حياتهم العادية حول الجثة .

واصلحت المرأة من زينتها .

— هل كنت عتيقته ؟
ورمقت ميجريه بنظرة حروئ • وهى تبحت عن دبوس لتشبك
بحمالتها •

— هل كان بينك وبينه موعد هذا المساء ؟
— فى الثامنة ، فى « السيليكى » كان المفروض ان نتناول
العشاء معا • ونذهب الى المسرح ••

— ولما لم يات فى الثامنة ، الم تتصلى به تليفونيا ؟
— بلى ! وقيل لى ان الجهاز مرفوع •
كان كلاهما ينظر اليه فى نفس الوقت ، فوق المكتب • لابد
وان الرجل قلبه عندما سقط الى الامام •

وترامى الى السمع وقع اقدام فى الفناء ، حيث كانت اضعف
الاصوات فى ذلك المساء تتضخم وكأنها تخرج من تحت ناقوس •
وراحت الحارسة تنادى وهى على عتبة الباب ، حتى لا ترى الجثة ••

— سيدى مفتش المباحث •• انهم رجال القسم ••
لم تكن تبهم • لقد وصلوا اربعة او خمسة ، دون ان يحاولوا
المرور خفية •

وكان احدهم ينتهى من سرد قصة مسلية • وسال آخر عندما
بلغ المكتب :

— اين الجثة ؟

ولما كان مفتش مباحث القسم غائبا ، فقد ناب عنه مساعده ،
قزاد هذا من حرية ميجريه فى مواصلة ادارة العمليات •

— دع رجالك فى الخارج • اننى فى انتظار النيابة • من الافضل
لا يرتاب المستاجرون فى شىء ••

وبينما كان المساعد يتجول فى المكتب ، عاد والتفت الى المرأة
جديدا •

— ما اسمك ؟

— نين •• نين مواتار ، ولكنهم يدعوننى دائما نين ••

— هل تعرفين كوثية منذ فترة طويلة ؟

— منذ ستة شهور تقريبا . . .

لم تكن هناك حاجة لتوجيه أسئلة كثيرة إليها . كان يكفي تأملها
« . . كانت فتاة على قدر غير قليل من الجمال لاتزال في مطلع حياتها
« . . زينتها من محل محترم . غير أن طريقتها في التزين ، ومسك
الحقيبة والقفاز ، والنظر الى الناس بروح عدائية كانت تكشف كلها
عن « كواليس » أحد الملاحى .

— راقصة ؟

— كنت أعمل فى ملهى « الطاحونة الزرقاء » .

— والآن ؟

— معه . .

لم تح لها فرصة للبكاء . لقد مضى كل شيء بسرعة خارقة ولم
تتكون لديها بعد فكرة واضحة عن الحقيقة .

— هل كان يعيش معك ؟

— ليس هذا بالضبط ، مادام متزوجا . . ولكن . . .

— عنوانك ؟

— فندق ييجال . . شارع ييجال . .

— لاحظ المساعد قائلا :

— على كل ، لا يمكن الادعاء بأن هناك سرقة !

— لماذا ؟

— انظر ! ان الخزانة وراءه ! وهى ليست موصدة بالفتح ، ولكن
ظهر القليل يحول دون فتح بابها !

أما نين ، التى أخرجت من حقيبتها منديلا صغيرا ، فقد راحت
تنشق وتسد منخريها .

وفى اللحظة التالية ، تغير الجو . فرامل عربات فى الخارج «
وقع أقدام وأصوات فى الفناء . ثم مصافحات بالأيدي ، وأسئلة
ومحاورات صاخبة . كانت النيابة قد وصلت . وراح الطبيب

الشرعى يَحْص الجثة . وشرع المصورون فى اعداد اجهزتهم . اما بالنسبة لميجريه ، فقد كانت لحظة بفيضة عليه قضاؤها . فبعد الجمل القليلة اللازمة ، بلغ الفناء ، وبدأه فى جيبه ، واشعل غليونه واصطدم فى الظلام ، بشخص ما . انها الحارسة ، التى لم تستطع ان تزعن بترك اناس مجهولين يجولون فى البيت دون ان تشغل بالهاباعمالهم وحركاتهم .

فسالها ميجريه ، متطلفا :

— ما اسمك ؟

— مدام بورسييه . . هل سيبقى هؤلاء السادة طويلا ؟ . . .
انظر ! لم يعد هناك ضوء فى حجرة مدام سان مارك . . لابد وانها قامت ، المسكينة . .

ولج مفتش المباحث ، وهو يفحص البيت ، نورا آخر ، ستارا فى لون القشدة ، ومن ورائه امرأة . كانت ضئيلة نحيلة . مثل الحارسة . ولم يكن صوتها ليبلغ الاذان . غير انه لم يكن من الصعب التخمين بانها كانت قريبة غضب شديد . كانت تارة تبقى ثابتة فى صرامة ، تحديق النظر فى شخص ما لا يظهر للعيان .

وفجأة كانت تتكلم ، وتكثر من اداء الحركات ، وتقدم بضغ خطوات الى الامام .

— من تكون ؟

— مدام مارتان . . لقد رايت زوجها وهو عائد منذ قليل . . انه كما تعلم ، الذى كان يحمل وهو صاعد صندوق القمامة . . موظف مكتب التسجيل . .

— هل من عادتهما العراك ؟

— انهما لا يتعاركان . . هى فقط التى تصرخ . . اما هو فلا يجرؤ حتى على فتح فمه .

ومن وقت لآخر ، كان ميجريه يلتقى نظرة خلال المكتب الذى يضم نحو عشرة اشخاص يتحركون . ودعا قاضى التحقيق الحارسة ،
من عند العتية .

- من يقوم بإدارة العمل ، بعد السيد كوشيه ؟
- الدكتور فيليب . انه لا يسكن بعيدا ؛ فى جزيرة سان - لوى . .
- هل لديه تليفون ؟
- بالتأكيد . .

وسمع شخص يتحدث فى الجهل . وفى الطابق العلوى ، لم يعد قطوع مدام مارتان يظهر على الستار . ومن جهة أخرى ، راح شخص غريب بهبط السلم ، ويخترق الفناء فى خطى مسترقة ؟ ثم يبلغ الشارع . واستطاع ميجريه أن يتعرف على قبعة السيد مارتان ومعطفه المطاط .

كان الوقت منتصف الليل . فاطفات صاحبتا الحاكى نورهما ولم يعد هناك ما يضى بخلاف المكاتب ، الا حجرة استقبال عائلة سان مارك فى الطابق الاول ، حيث راح السفير القديم يتجاذب الحديث ، بصوت خفيض ، مع المولدة ، فى جو تسوده رائحة مستشفى لاطلاوة له .



وعلى الرغم من تقدم الوقت ، فقد كان السيد فيليب ، لدى وصوله ، حسن الهندام ، ذا لحية بنية مصقولة بعناية ، وكانت يده مفلفتين فى قفاز رمادى خشن الداخلى . كان فى الأربعين من عمره تقريبا ، كان نموذجا كاملا للرجل المثقف الجاد المهذب .

ولا شك ان الخبر ادهشه ، بل اقلقه . غير ان انفعاله كان يشويه شئ أشبه بالتحفظ ، وراح يتنهد قائلا :

- مع الحياة التى كان يعيشها . .

- أية حياة ؟

- لن اذكر السيد كوشيه بسوء . وفضلا عن ذلك ، فليس هناك سوء يمكن أن يذكر به . لقد كان سيد زمنه . .

- لحظة : هل كان السيد كوشيه يقوم بإدارة أعماله بنفسه ؟

- لا من قريب ، ولا من بعيد . هو الذى فتح لها الأسواق .

ولكن ما أن بدأت تروج ، حتى ترك لى جميع المسؤوليات . لدرجة أننى كنت أظل خمسة عشر يوما دون أن أراه . تخذ مثلا ! اليسوع

بالذات ، انتظرتة حتى الخامسة . فهذه ليلة تسليم المرتبات . كان عليه أن يحضر لى الأموال التى يلزم دفعها غدا . حوالى ثلاثمائة ألف فرنك . وفى الخامسة ، اضطرت للانصراف وتزكت له تقريرا على المكتب .

ووجد التقرير مكتوبا، على الآلة الكاتبة ، تحت يد القتل . تقرير عادى : اقتراح بزيادة عامل وفصل أحد الموزعين ، ومشروع للاعلان فى بلدان أمريكا اللاتينية ، الخ . . .
فسأل ميجريه :

— وعلى هذا فالثلاثمائة ألف فرنك ينبغي أن تكون هنا ؟
— فى الخزانة . والدليل على ذلك ، أن السيد كوشيه فتحها .
فتنحن الاثنان ، هو وأنا ، نملك المفتاح والسر . . .

ولكن . لكى تفتح الخزانة ، كان لابد من رفع الجثة فانظروا حتى تنتهى مهمة المصورين . وكتب الطبيب الشرعى تقريره . لقد أصيب السيد كوشيه برصاصة فى صدره ، ولما كان الشريان الأورطى قد قطع ، كانت الميتة صاعقة . ويمكن تقدير المسافة بين القتاتل والضحية بثلاثة أمتار . وأخيرا ، كانت الرصاصة من العيار الأكثر شيوعا ٦ م ٣٥٠

وراح السيد فيليب يدلى للقاضى ببعض الايضاحات .
— اننا لا نملك ، فى ميدان الفوج ، غير المعامل التى تقع خلف هذا المكتب .

وفتح أحد الأبواب ، فظهرت حجرة كبيرة سقفها من زجاج ، صفت فيها آلاف من أنابيب الاختبار . وخلف باب آخر ، اعتقد ميجريه أنه سمع ضوضاء .
— ماذا هناك ؟

— موضوعات الاختبار . . . وإلى اليمين ، مكاتب الكتبة والموظفين ولنا فى « بانتان » محلات أخرى ، نصدر منها الجزء الأكبر من إنتاجنا ، فانت تعلم طبيعيا أن أمصال الدكتور رقيير معروفة فى العالم كله .

— اهو الذى فتح لها الأسواق ؟

- أجل! لم يكن الدكتور ربيعير يملك المال. فقام كوشيه بتمويل أبحاثه . ومنذ عشر سنوات ، أسس معملا لم تكن له أهمية هذا العمل الذي تراه ..

- ولا يزال الدكتور ربيعير فى العمل ؟

- لقد لقي مصرعه منذ خمس سنوات ، فى حادث سيارة .
وأخيرا رفعت جثة كوشيه ، وما أن فتح باب الخزانة ، حتى سمعت صيحات التعجب . فكل الأموال التى كانت تحويها قد اختفت . ولم يبق غير بعض الأوراق الخاصة بالعمل .

وراح السيد فيليب يشرح الأمر :

- ليس فقط الثلاثمائة ألف فرنك التى أحضرها السيد كوشيه بالتاكيد ، بل كذلك ستون ألفا من الفرنكات أودعت عصر اليوم، وضعتها أنا بنفسى فى هذه الخزانة بعد أن أحطتها بحلقة من المطاط !

لم يوجد شيء فى حافظة القتل : أو بالأصح ، وجدت تدكرتان مرقمتان لمشرح المادلين ، أثارت رؤيتهما نحيب « نين »

-- انهما لنا .. كان من المفروض أن نذهب الى المسرح سويا.

كانت هذه هى النهاية . فقد زادت الفوضى ، وراح المصورون يطوون أوراق أجهزتهم الكثيرة . وراح الطبيب الشرعى بفسل يديه من صنوبر اكتشفه فى صندوق مثبت فى حائط ، وأبدى كاتب قاضى التحقيق تعبه .

ومع ذلك ، فعلى الرغم من هذا الاضطراب ، فقد استطاع ميجريه أن يخلئ بالقتيل على نحو ما ، لمدة لحظات .

كان رجلا قويا ، أميل الى القصر ، ممتلىء الجسم ، وكما هو حال نين ، لم يكن يخلو من نوع من الابتذال ، وعلى الرغم من ملابس بدعة التفصيل ، وأظافره المدرمة ، وقميصه الحريري الفصّل .

أما شعره الأشقر فقد أصبح نادرا . ويبدو أن عينيه كانتا زرقاوين ولهما تعبير صبياني بعض الشيء .

وتنهّد خلفه صوت يقول :

- رجل أثيق !

كان هذا صوت « نين » التى كانت تبكى حنانا وتستشهده
بميجريه ، لعدم اجترائها التحدث الى رجال النيابة الرسميين .
- أقسم لك أنه كان نموذجا للرجل الاثيق .. كان بمجرد أن
يشعر أن هناك شيئا ما يمكن أن يدخل السرور على قلبى .. ليس
أنا فقط ! .. أى شخص ! .. لم أر فى حياتى أنسانا يهب حلوانا
مثله .. لدرجة أننى كنت الومه .. كنت أقول له أن الناس يعتبرونه
قرا ..

مندئذ كان يجيبنى

- وما أهمية ذلك ؟ ..

وسأل مفتش المباحث جادا :

- هل كان مرحا ؟

- أميل الى المرح .. ولكنه فى الواقع لم يكن مرحا .. هل تفهم ؟
هذا أمر يصعب شرحه .. كان يشعر بحاجة الى الحركة ، والى القيام
بعمل ما .. إذا مكث هادئا ، تجهم أو انتابه القلق ..
- وزوجته ؟

- رأتها مرة ، من بعيد .. لا أستطيع أن أذكرها بسوء ..

- أين يسكن كوشيه ؟

- شارع هوسمان .. ولكن فى أغلب الأحيان ، كان يذهب الى
مولان ، حيث يملك فيلا هناك ..

وأدار ميجريه راسه بسرعة ، فرأى الحارسة لا تجرؤ على الدخول
وتومئ له بإشارات وقد بدأ وجهها أكثر بؤسا .

- أرايت : أنه نازل ..

- من ؟

- السيد سان - مارك .. لابد وأنه سمع الضوضاء كلها ..

هاهو ذا .. يوم كهذا ! تصور ..

وبدا السفير القديم فى خبة البيت ، كان يتردد فى التقدم
لقد تبين مداهمة النيابة . ومن جهة أخرى ، رأى الجثة نسوق
النقالة ، تمر بالقرب منه ، وسأل ميجريه قائلا :

- ما هذا ؟

— رجل مقتول .. كوشيه ، صاحب الامصال ..
وشعر مفتش المباحث بأن محدثه قد خطرت له فكرة على حين
لحاجة ، كما لو كان قد تذكر شيئا .

— هل تعرفه ؟

— كلا .. أقصد اننى سمعت عنه ..

— وبعد ؟

— لاشيء ! لا اعرف شيئا .. متى .. الـ

— الجريمة لأبد وانها وقعت بين الثامنة والتاسعة ..

وتنهذ السيد سان مارك ، وسوى شعره المفضض ، واوما
برأسه لميجريه ، ثم اتجه نحو السلم الذى يؤدى الى شقته .

كانت الحارسة قد انتحت جانبا . ثم انضمت الى شخص ما
كان يروح ويحيى مائلا الى الامام ، تحت القبو . وعندما عادت الى
مفتش المباحث ، سألها قائلا :

— من هذا ؟

— السيد مارتان .. انه يبحث عن فردة « قفاز ضاعت منه ..
ينبغى ان اقول لك انه لا يخرج ابدا بدون قفاز ، حتى ولو كان ذلك
لشراء سجاثر من مسافة خمسين مترا من هنا .

اما السيد مارتان فكان يدور حول صناديق القمامة ، مشعلا
بعض الجذوات ، وأخيرا سلم بالصعود الى مسكنه من جديد .

وفى الفناء ، تصافحت ايدى . وانصرف رجال النيابة . وتبادل
قاضى التحقيق حديثا قصيرا مع ميجريه .

— سانركك تتصرف .. وطبعا ستحيطنى علما ..

اما السيد فيليب ، وهو دقيق لا يزال ، كصورة على الطراز
الحديث ، فقد انحنى امام مفتش المباحث قائلا :

— ألم تعد فى حاجة الى ؟

— سارك غدا .. أظن أنك ستكون فى مكتبك ؟ ..

— كالعادة .. فى التاسعة تعالما .

وفجأة حلت لحظة مؤمرة ، مع انها لم تقسم بأدنى حدث . كان

الفناء لا يزال غارقاً في الظلام . مصباح واحد في القبو بمصباحه
المعقر .

وفي الخارج ، تتحرك العربات ، ثم تسمى فوق الأسفلت
تكتشف لحظة أشجار ميدان الفوج بمصابيحها الشديدة .

لم يعد القتل موجوداً ، كان المكتب يبدو وكأنه قد نهب نهياً
لم يفكر أحد في إطفاء الأنوار وكان العمل مضيئاً كان هناك عملاً
إلياً شديداً .

وهكذا تجمع ، وسط الفناء ، ثلاثة أشخاص يتباينون فيما
بينهم ، لم يكن أحدهم يعرف الآخرين قبل ذلك بساعة واحدة
ومع ذلك ، فقد يبدو أن صلات غامضة قد جمعتهم .

بل أكثر من ذلك : كانوا كأفراد عائلة بقوا وحيدين ، بعد
انقراض الجنازة ، عندما انصرف من لا يهمهم الأمر !

لم يكن إلا شعور خفي من جانب ميجريه هو الذي جعله يقول
بينما كان يتأمل وجه نين حلو القسمة تارة ، وملامح الحارس
الشاحبة تارة أخرى :

— هل وضعت ولديك في السرير ؟

— أجل ... ولكنهما لم يناما ... انهما قلقان ... يبدو
أنهما يشعرا ...

وكانت مدام بورسييه تريد أن تسأل سؤالا يكاد يخلجها
ولكنه كان سؤالا هاما بالنسبة لها :
— هل تعتقد ...

وجالت نظرتها خلال الفناء ، وبدأ أنها تتوقف عند جميع
الأنوافذ المطفأة :

— ... أنه ... أنه شخص من المنزل ؟

وهي الآن تحديق النظر في القبو ، ذلك الرواق الذي لا ينقل
إياه مفتوحاً ، إلا بعد الحادية عشرة مساءً ، والذي يصل بين الفناء
والشارع ، ويسمح بدخول العبارة لكل مجهول من الخارج .

أما نين ، فقد كانت تتخذ وضعا مضاعفا ، ومن آن لآخر كانت تسترق النظر الى مفتش المباحث .

— ان التحقيق سيحجب عن سؤالك ، يامدام بورسييه .
أما الآن ، فهناك شيء يبدو أكيدا ، وهو أن الذي سرق الثلاثمائة ألف فرنك ليس هو نفسه الذي قتل ٠٠٠ هذا جازن على الأقل ، مادام السيد كوشيه يسد الحزاة بظهره ٠٠٠ وبالمناشبة ، هل كان هناك ضوء في المعمل هذا المساء ؟

— انتظر ٠٠٠! أجل ، اعتقد ذلك ٠٠٠ ولكن ليس مثل الآن .
٠٠٠ فلابد أن السيد كوشيه قد أضاء مصباحا أو اثنين لكي يذهب الى الأحواض ، التي توجد بين الحجرات .

وانتقل ميجريه ليطفي الأنوار كلها ، بينما كانت الحارسة لاتزال على العتبة ، مع أن الجثة لم تكن موجودة . وفي الغناء :
وجد مفتش المباحث « نين » التي كانت في انتظاره .

وسمع صوتا في مكان ما فوق رأسه ، صوت شيء يحتك بـزجاج .

ولكن النوافذ كلها كانت مغلقة ، والأنوار كلها كانت مطفأة .
شخص ما تحرك ، شخص ما كان يسهر في ظلام احدي الحجرات .

— الى الفد يامدام بورسييه ٠٠٠ ساكون هنا قبيل فتح المكتاب ٠٠٠

— سأتبعك ! يجب أن أغلق البوابة ٠٠٠

وعلى طوار الشارع، نوهت « نين » قائلة :

— كنت اعتقد أن عندك عربة .

ولم تحاول تركه . بل أردفت وهي تنظر الى الأرض :

— في أية جهة تسكن ؟

— على بعد خطوتين من هنا ، شارع ريتشارد لونوار .

— لم بعد هناك « مترو » ، أليس كذلك ؟

— لا أظن .

« أريد أن أصرح لك بشيء »

« اننى أنصت لك »

وظلت لا تجرؤ على النظر اليه • ومن خلفهما سمعت الحارسة وهي توصلد الباب ، ثم سمعت خطواتها وهي فى طريقهسا الى مسكنها • لم يكن فى الميدان انسان ، وكانت النافورات تغنى • ودقت ساعة مقر الحكومة معلنة الواحدة »

« سترى اننى أتجاوز الحد ... لست أدري ماذا ستظن بى ... قلت لك أن ريمون كان كريما للغاية ... كان لا يعرف قيمة المال ... كان يعطينى كل ما أريد ... هل تفهم ؟ ... »

« وبعد ؟ ... »

« شيء مزر ... كنت اطلب أقل ما يمكن ... كنت أنتظر أن يفكر فى الأمر ... فضلا عن ذلك ، فيما أنه كان معى دائما ، فأننى لم أكن بحاجة الى شيء ... اليوم ، كان من المفروض أن أتناول معه العشاء ... إيه حسنا ! »

« أمعدة ؟ »

فاعترضت قائلة :

« ليس هذا ! انه أقبح ! كنت قد نويت أن اطلب منه مالا هذا المساء • فقد سددت فى الظهر قائمة حسابات ... »

كانت تتعذب • ترقب ميجريه ، وهي على استعداد لأن تثقهر عند أدنى ابتسامة •

« لم أتصور أبدا أنه لن يأتى ... كان لايزال معى قليل من النقود فى حقيبتي ... وفى انتظاره « بالسيليكييت » ، تناولت محاراً ثم « لانجوست » ... واتصلت بالتليفون ... وعندما وصلت الى هنا فقط ، تبين لى أن معى مايكفى لدفع أجرة السيارة »

« وفى بيتك ؟ »

« اننى أنزل فى فندق ... »

— اننى أسأل ما إذا كان لديك بعض المال المدخر ؟؟؟

— أنا ؟

وندت عنها ضحكة عصبية •

— ولماذا أدخر ؟ هل كنت أستطيع أن أعلم الغيب ؟؟؟ حتى لو كنت أعلم فاننى ماكنت لأحب •••

وتنهذ ميجريه قائلا :

— تعالى معى حتى شارع بورماشيه • هناك فقط ستجدين سيارة فى هذه الساعة • ماذا ستفعلن ؟

— لاشئ ••• اننى •••

ولكنها ارتعشت • فقد كانت فى الواقع لا ترتدى غير الحرير •

— ألم يكتب وصيته ؟

— وهل أستطيع أن أعرف ، أنا ؟ ••• وهل تعتقد أننا نهتم بمثل هذه الأمور ، عندما يكون كل شئ على مايرام ؟؟؟ ركازا ويمون رجلا أنيقا • اننى •••

كانت تبكى وهى تسير ، دونما ضوضاء • وناولها مفتش المباحث فى يدها ورقة من فئة المائة فرنك ، وأشار لسيارة كانت لقمر ، وتمتم وهو يدس قبضتيه فى جيبه :

— الى الغد ••• قلت لى فندق بيجال ؟؟؟

وعندما رقد فى فراشه ، لم تستيقظ زوجته الا لتغفيم
لها ••• لا تعى تماما :

— هل تناولت عشاءك ؟

ثنائي بيجال

عندما كان ميجريه يفادر منزله ، في حوالى الثامنة صباحا »
 كان عليه أن يختار بين ثلاثة مساع ، يجب أن يقوم بها جميعا في
 ذلك اليوم :

وهي زيارة محلات ميدان الفوج واستجواب العمال ، وزيارة
 مدام كوشيه التى أحيطت علما بالأحداث عن طريق شرطة القسم »
 وأخيرا استجواب « نين » من جديد .

وما أن استيقظ من نومه ، حتى اتصل بالشرطة الجنائية وقرأ
 عليها قائمة بأسماء مستأجرى المنزل ، وكل الأشخاص الذين
 يتصلون بالمساكنة من قريب أو من بعيد ، وإذا مر بمكتبه ، سيجده
 فى انتظاره معلومات مفصلة .

وكان السوق ، فى شارع ريتشارد لونوار ، يصول ويجول »
 وكان الجو من البرودة بحيث رفع مفتش المباحث ياقة معطفه
 القظيفة . وكان ميدان الفوج قريبا ، ولكن لابد للوصول اليه من
 السير على الأقدام :

وعندئذ ، مر قرام متجها ناحية ميدان بيجال ، الأمر الذى
 جعل ميجريه يقرر أن يبدأ بزيارة « نين » .

ومن الطبيعى أنها لم تكن قد استيقظت من نومها . وفى مكتب
 الفندق عرفه ميجريه ، وأثار حضوره القلق .

- انها ليست مقحمة فى قصة مزعجة ، على الأقل ؟ فتاة جد
 هادئة !

- هل تستقبل اناسا كثيرين ؟

- لا احد الا صديقتها ؟

- العجوز أم الشاب ؟

- ليس لها غير صديق واحد ، لا هو بالمحور ، ولا هو بالشاب ...

وكان الفندق مريحا ، فقد كان هناك مصعد ، ونديفونات في الحجرات . وأنزل ميجريه في الطابق الثالث ، وطرق باب الشقة رقم « ٢٧ » ، فسمع شخصا يتحرك في سرير ، ثم صوتا يهمهم قائلا :

- ماذا هناك ؟

- افتحي يا نين !

لا بد وأن يدا خرجت من تحت الأغطيه ، وبلغت الملاج « » فدخل ميجريه في ظلال يشوبها ضوء ، ولمح وجه المراه المجعد ، ثم راح يرفع الستائر .

- كم الساعة الآن ؟

- لم تبلغ التاسعة بعد ... لا تنزعجى ...

كانت عيناها شبه مغمضتين ، بسبب الضوء الشديد . وعلى طبيعتها ، لم تكن جميلة . وكانت فوق ذلك تبدو اقرب الى الفتاة الريفية منها الى الغانية . ومرت بيدها فوق جبينها مرتين او ثلاث مرات ، وأخيرا جلست على السرير جاعلة من وسادتها متكا لها « » ثم رفعت سماعة التليفون :

- احضروا طعام الافطار !

ثم قالت لميجريه :

- يالها من قصة ! ... الست نائما على لائتى اق ترخت

لقودا منك ، مساء أمس ؟ ... انه لامر سخيف ! ... لا بد لي من بيع مجوهراتى ...

- هل تملكين منها الكثير ؟

وأشارت الى خوان التزين ، وكانت عليه منفضة (طقوقة)
بها بعض الخواتم ، وسوار ، وساعة ، تبلغ قيمة الجميع خمسة
آلاف فرنك .

وطرق باب الحجرة المجاورة ، فاصفت « نين » السمع
وارتسمت على وجهها ابتسامة مبهمة عندما سمعت الطرق يعاد
بالحارج في اصرار .

فسأل ميجريه قائلا :

- من ؟

- جيراني ؟ لست أدري ! ولكن لو أمكن إيقافهما في هذه
الساعة ...

- ماذا تعنين ؟

- لا شيء ! . انهما لا يستيقظان ابدا قبل الرابعة بعد الظهر .

- هل يتعاطيان المخدرات ؟

فاومات باهدائها بالايجاب ، ولكنها عجلت وازافت قائلة :

- اظن أنك لن تستغل ماقلته لك ، اليس كذلك ؟

وفي هذه الاثناء فتح الباب . وكذلك فتح باب حجرة « نيني »
وبدت عنده خادمة تحمل صينية عليها قهوة باللبن وفطائر .

- تسمع ؟

كانت تحيط بعينيها زرقة ، وكان قميص نومها يظهر
كتفين نحيلتين وصدر ضئيل غير ذي قوة لصبية ساء نموها ،
وبينما كانت تغمس قطع الفطير في القهوة المزوجة باللبن ،
كانت تواصل الاصغاء ، كما لو كانت على الرغم من كل شيء ،
مهمته بما كان يدور الى جوارها .

ومع ذلك فقد قالت :

- هل ساقحم في هذه القصة ؟ سيكون الامر مزعجا ، لو
تحدثوا عنى في الصحف ! وخاصة بالنسبة لدمام كوشيه مع.

ولما كان الباب يذق دقات خفيفة متلاحقة ، فقد صاحبت قائلة :

— أدخل !

كانت امرأة فى حوالى الثلاثين من عمرها ، متدثرة فى معطف من الفرو فوق قميص نومها ، وكانت عارية القدمين • وأوشكت أن تتراجع عندما لمحت ظهر ميجريه العريض ، لكنها تجاسرت وهممت قائلة :

— لم أكن أدري أن لديك أحدا !

وانتفض مفتش المباحث عند سماعه لهذا الصوت الرخيم • الذى كان يبدو خارجا من فم معجن ، ورمى المرأة التى أعادت غلق الباب ، فرأى وجهها لا لون له ، ذا أجنان منتفخة • ورنث له « نين » بنظرة أيدت رايه • فقد كانت هى فعلا الجارة التى تتعاطى المخدرات •

— ماذا حدث لك ؟

— لا شيء ! روجيه لديه زائرون ••• عندئذ ••• سمعت لنفسى •••

وجلست على الأرض بجانب السرير ، خاملة ، ونهدت قائلة :
« كما فعلت » نين :

— كم الساعة الآن ؟

فقال ميجريه :

— التاسعة ! يبدو أنك لا تحبين « الكوكايين » !

— ليس هذا يكوكاين ••• انه اتير ••• روجيه يرى انه افضل وأن •••

كانت تشعر بالبرد • فقامت لتلتصق بالمدفأة ، ونظرت الى الخارج وقالت :

— لن تلبث السماء ان تمطر •••

كل هذا كان مشوبا بانقباض ويأس • وعلى جوان التزيين • كانت الماشطة مليئة بالشعر المقصوف • وكان جورب • نين ، يرقد على الأرض •

« اثنى ازعجكنا ، اليس كذلك ؟ » ولكن الأمر يبدو هاما
أنه يتعلق بوالد روجيه ، الذى مات «
كان ميجريه ينظر الى نين فلاحظ أنها قطبت ما بين حاجبيه
قبيحة كمن مرت بخاطره فكرة . وفى نفس الوقت ، راحت المראה
التي انتهت من كلامها منذ قليل ، ترفع يدها الى ذقنها ، وهي
توهم :

« انظرى ! انظرى !
وسال مفتش المباحث قائلا :
« هل تعرفين والد روجيه ؟
« لست اراه على الاطلاق . . . ولكن . . . انتظر !
« أخبرينى اذن يا نين . . ألم يحدث لصديقك شيء ؟
فتبادل مفتش المباحث ونين نظرة «
« لماذا ؟

« لا اعرف . . . ان الأمر معقد بعض الشيء . . . لقد تذكرت
من فوري ان روجيه قال لى ذات يوم ان أباه يتردد على الفندق . . .
وكان هذا الأمر يسليه . . . غير أنه كان يفضل ألا يصادفه ، وذات
مرة عندما كان أحد الأشخاص يصعد السلم ، أسرع بدخول
الحجرة . . . ومن ثم ، يبدو أن ذلك الشخص دخل هنا . . .
« وكفت «نين» عن الأكل . كانت تضيق بالصينية على ركبتيها ،
وكان وجهها يكشف عن قلقها .
« ابنه ؟

« قالتها بتؤدة ، ونظرها معلق باطار النافذة الزيتي . وصاحت
الأخرى :

« وعلى ذلك . . . وعلى ذلك ، فان صديقك هو الذى
مات . . . يبدو أن فى الأمر جريمة . . .
فاستفسر ميجريه قائلا :

« هل روجيه يلقب بكوشيه ؟
« روجيه كوشيه ، أجل !

فصمت ثلاثتهم مضطربين *
وبعد لحظة طويلة ، سمعت خلالها هممة صوت فى الحجرة
المجاورة ، استطرد مفتش المباحث قائلا :

- ماذا يعمل ؟

- ماذا تقصد ؟

- ما وظيفته ؟

فقالت المرأة فجأة :

- أنت من الشرطة ، اليس كذلك ؟

كانت مضطربة ، وربما أوشكت أن تلوم «نبن» على أن حرّثها
فى فخ ... فقالت نبن وهى تخرج احدى ساقىها من السريور
وتميل لتجذب جوربها :

- ان مفتش المباحث لطيف للغاية !

- كان ينبغي على أن أضمن ذلك ! ... ولكنك كنت على علم
قبل أن ... أن ادخل ...

فقال ميجريه :

- افنى لم أسمع بروجييه على الإطلاق ! والآن ، ننتصر عليك
أن تزودينى ببعض المعلومات عنه ...

- أنا لا أعرض شيئا ... فلم يكدهمى أسبوعان ونحن
معا ...

- وقبل ذلك ؟

- كان بصحبة صهباء فارعة تتظاهر بأنها تعمل مدرسه
للاطفال ...

- هل له عمل ؟

وكانت هذه الكلمة كافية لتزيد من حدة الضيق *

- لست أدري ...

- معنى هذا أنه لايقوم بأى عمل ... هل لديه نروة ؟ ...
هل يتفق بسخاء ؟

- كلا ! انفسا نأكل دائما فى مطعم محدد الاسماء ، بست
فرنكات ...

- هل يتحدث عن ابيه فى أغلب الاحيان ؟
- لم يتحدث عنه غير مرة واحدة ، كما قلت لك ...
- هل تستطيعين أن تصفى لى زائره ؟ هل سبقت لك مقابلته ؟
- كلا ! انه رجل .. كيف أقول ؟ لقد ظننته محضرا ، وعندما
جئت الى هنا اعتقدت ان الامر كذلك وان روجيه مدين ..
- وهل هو حسن الهمد ؟
- أنتظر . لقد رأيت قيمته ، ومعطفا اسمر ، وقفازا ...

كان يوجد بين الحجرتين باب اتصال يحجبه ستار ويرجع انه
مسدود . وكان فى استطاعة ميجريه ان يلصق به اذنه ويسمع
كل شيء ، غير انه كره ان يفعل ذلك امام المراتين .

- وارتدت نين ثيابها ، واكتفت ، استعاضة عن الفسيل ،
بتمرير منشفة مبللة فوق وجهها . كانت عصبية . وكانت حركاها
مضطربة . كان المرء يشعر أن الاحداث تفوقها ، وانها الآن تتوقع
المصائب جميعا ، وانها لاتستشعر قوة للمقاومة ، بل ولا حتى
للحالة الفهم .

اما الأخرى فكانت أكثر هدوءا ، وربما كان ذلك لأنها كانت
لا تزال تحت تأثير الاثير او ربما لأنها كانت أكثر خبرة بمثل هذه
الامور .

- ما اسمك ؟
- سيلين .
- هل لك مهنة ؟
- كنت أعمل مصففة شعر فى المنازل .
- مقيدة بسجل شرطة الآداب ؟
- فهزت رأسها بالنفى ، دون أن تشعر بالاهانة . وكانت هناك
همهمة صوت لائزال تصل الاذان من الجانب المجاور .
- اما نين ، وكانت قد ارتدت ثوبا ، فقد كانت تتأمل الحجر من
حواليها .. وفجأة راحت تنفجر منتحبة ، وتقول وهى تتلثم :

« يا الهى ! يا الهى ! »

لقال سيلين بتؤدة :

« يا لها من قصة غريبة ! واذا كان فى الامر جريمة حقا »
« ليسكون هناك مايزعجنا » .

« اين كنت بالامس فى حوالى الثامنة مساء ؟ »

ففكرت :

« انتظر ! .. الثامنة .. ايه حسن ! كنت فى «السيранو» »

« وهل كان روجه فى صحبتك ؟ »

« كلا .. اننا لانستطيع ان نكون سويا طوال الوقت .. لقد
التقيت به عند منتصف الليل ، فى حاوت دخان شارع فونتين » .

« وهل اخبرك من اين اتى ؟ »

« لم اساله شيئا .. »

ومن خلال النافذة ، كان ميجريه يلمح ميدان بيجال ، وحديقته
الصفيرة ولافات الحانات . وفجأة ، اذا به ينتصب ، ويسير ناحية
الباب .

« عليكما بانتظارى ، كلاكما ؟ »

وخرج ، وطرق الباب المجاور وسرعان ما اُدار « اكرته » .

كان هناك رجل يرتدى التامة ويجلس فى الكرسى الوحيد
الموسد الذى يوجد فى الحجرة . وعلى الرغم من النافذة المفتوحة
اكانت رائحة الاتير المنفرة تسود الحجرة . وكان هناك رجل آخر
يسير وهو يكثر من الحركات . كان هذا هو السيد مارتان ، الذى
اكان ميجريه قد صادفه مرتين عشية الامس ، فى قنساء ميدان
الفوج .

« ها قد وجدت قفازك ! »

وكان ميجريه ينظر الى يدي موظف التسجيل ، الذى غدا
لصاحبا حتى اعتقد مفتش الباحث لحظة انه لن يلبث ان يفقد وعيه

كانت شفته تترعشان . كان يحاول أن يتكلم دون أن يوفق الى ذلك .

— اننى .. اننى ..

لم يكن الشاب حليق الذقن ، كان في لون الورق الممضوغ وكانت عيناه تحوطهما هالة حمراء وشفته رخويتين تكشفان عن بخوره . كان مشغولا بشرب الماء بشرهة من كوب بين أسنانه .
— هدى من روعك ، ياسيد مارتان ! لم أكن أمل أن أقابلك هنا وبخاصة في وقت من المفروض أن يكون مكتبك فيه مفتوحا منذ فترة طويلة .

كان يراقب الرجل الطبيب من اخمص قدمه حتى أم رأسه . وكان ينهى عليه بذل مجهود حتى لا تلخذه الشفقة به ، فقد كان المسكين يبدى ارتباكاً شديداً .

ومن حدائه حتى رباط عنقه الذى يحيط بياقة من البلاستيك كان السيد مارتان يمثل النموذج الكاريكاتورى للموظف ، موظف متكلف في نظافته وفاضل ، ذو شاربين اتقن تلمييعهما ، دونما ذرة من تراب فوق ملابسه ، وربما اعتقد أن خروجه بدون قفاز من معيب .

والآن ، انه لا يدرى كيف يتصرف حيالهما ، حيال يديه ؟ وكانت نظرتة تنقب في أركان الحجرة التى تسودها الفوضى كما لو كان يبحث فيها عن الهام .

— هل تسمح لى بسؤال ياسيد مارتان ؟ منذ متى وأنت تعرف روجيه كوشيه ؟

لم يكن الرعب هو الذى حل . وإنما كان الخيال .

— آنا .. ؟

— أجل .. آت !

— منذ .. منذ زواجى !

كان يقول ذلك كما لو كان الأمر بديهيا لا يحتاج الى توضيح .

- لست أفهم -

- ان روجيه هو ابن زوجتي -

- وابن ريمون كوشيه ؟

- اجل .. مادام ..

لقد استعاد اطمئنانه .

- كانت زوجتي هي الزوجة الاولى لكوشيه .. وقد انجبت
منه ابنا ، هو روجيه .. وعندما انفصلت عن زوجها ، تزوجتها
انسا ..

لقد احدث هذا البيان تأثير عاصفه شديدة سريعة ازاحت
سحبا من سماء . لقد تغير على اثره بيت ميدان الفوج . وتغيرت
طبيعة الاحداث ، فوضحت بعض النقاط وعلى النقيض من ذلك
اصبح بعضها الآخر مدعاة لبلبلة الافكار واغلاقها اكثر من ذي قبل .

حتى ان ميجريه لم يعد ليجرؤ على الكلام . كان في حاجة
الى تنظيم افكاره . كان ينقل نظره بين الرجلين بقلق متزايد ..
لقد سألته حارسة البيت ، في نفس الليلة ، وهي تنظر الى
جميع النوافذ التي تبدو للعيان من الغناء :

- هل تعتقد انه شخص من البيت ؟

وكانت نظرتها تتعلق بالقبو . كانت تأمل ان يكون القاتل قد
ولج منه ، وان يكون هذا الشخص من الخارج .

ايه كلا ! كانت الماساة محصورة في البيت ! ولم يكن ميجريه
قادرا على تحليل ذلك ، ولكنه كان واقفا منه .
اية ماساة ؟ انه لا يدرك منها شيئا !

كل ما هنالك ، انه كان يشعر بان خيوطا خفية تمتد ، وتوصل
بين جهات مختلفة في المكان ، فتخرج من ميدان الفوج الى فندق
شارع بيجال هذا ، ومن شقة آل مارتان ، الى مكتب المصل التابع
للدكتور ريفيير ، ومن حجرة « نين » الى حجرة ذلك الثنائي البليد
تحت تأثير الاثير .

ان اكثر ماكان يثير القلق فى الموضوع ؟ وبماكان مشهد السيد
مارتان وهو ملقى فى هذه المناهة كمنحلة لا تمى . كانت يده
لا تزالان مغلفتين فى القفاز ، وكان معطفه فى حد ذاته يمثل له
برنامج حياة كريمة . وكانت نظراته قلقة تسمى الى التعلق بمكان
ما دون ان توفق الى ذلك . وراح يتلعثم قائلا :

- جئت لآخبر روجيه ..

- أجل ..

كان ميجريه ينظر اليه فى عينيه ، نظرة هادئة عميقة ، وهو
يؤكد يتوقع لمحدثه ان يتضاءل من الكرب .

- لقد قالت لى روجى ان من الافضل ان تكون نحن الدين ..
- فاهم !

- ان روجيه سريع الـ ..

فاكمل ميجريه قائلا :

- سريع التأثر ، شاب عصبي !

وراح الشاب ، وكان قد بلغ كوب الماء الثالثة ، يرمقه بنظرة
بحاقدة .

كان فى الخامسة والعشرين ، غير ان ملامحه كانت قد كلت
وذبلت منه الجفون .

ان لا يزال جميلا ، جمالا من شأنه ان يفتن بعض النساء ..

كانت بشرته كامدة ، ولم يكن به شىء لم يصطبغ بطابع رومانسوى
حتى مظهره المتعب الذى يبدو عليه شىء من الاشمئزاز .

- قل لى ياروجيه ، هل ترى والدك فى أغلب الأحيان ؟

- فى بعض الأحيان !

- أين ؟

كان ميجريه يتطلع اليه بنظرة قاسية ..

- فى مكتبه .. او فى المطعم ..

- متى رأيته لآخر مرة ؟

- لا أعرف .. منذ عدة أسابيع ..
- وهل طلبت منه مالا ؟
- كما يحدث دائما !
- باختصار ، كنت تعيش على نفقته ؟
- لقد كان من الثراء بحيث ...
- لحظة ! أين كنت بالأمس فى حوالى الثامنة مساء ؟
- ولم يبد ترددا :
- فى السليكت .
- قالها مصحوبة بإبتسامة ساخرة ، تعنى :
- لعلك تعتقد اننى لا ادرى الى اين تريد أن يودى ذلك !
- ماذا كنت تفعل فى السليكت ؟
- كنت فى انتظار أبى !
- إذن ، فقد كنت فى حاجة الى مال ! وكنت تعسرف انة
- هبائى الى السليكت ..
- انه يكون هناك كل ليلة تقريبا بصحبة عشيقته ! وفوق ذلك
- فقد سمعته فى العصر يتحدث فى التليفون .. لاننا نسمع مايقال
- فى الجانب المجاور ..
- وعندما وجدت أن والدك لاياتى ، ألم تخطر لك فكرة
- بالذهاب اليه فى مكتبه بميدان الفوج ؟
- كلا .. !
- والتقط ميجريه من فوق المدفأة صورة فوتوغرافية للشاب ،
- كانت تحوطها صور نسائية عديدة . ووضعها فى جيبه وهو يدمدم
- إقائلا :
- تسمح ؟
- لو كان هذا يسرك !
- وراح السيد مارتان يقول :
- الا تعتقد ؟ ...
- اننى لا اعتقد فى شيء . ان هذا يجعلنى أفكر فى توجيه

- بعض الأسئلة اليك . ما هي العلاقات بين بيتك وبين روجيه ؟
- كان لا يأتي في اغلب الاحيان .
 - وعندما كان يأتي ؟
 - كان لا يلبث غير دقائق معدودة ... »
 - وهل امه على علم بطبيعة حياته ؟
 - ماذا تريد ان تقول ؟
 - لا تتغابي ، ياسيد مارتان ! هل تعلم زوجك ان ابنها يعيش في «مونمارتر» بدون أى عمل ؟
 - وراح الموظف ينظر الى الأرض ضيقا . وقال متنهدا :
 - لقد حاولت كثيرا أن ادفعه الى العمل !
 - وفي هذه المرة ، بدا الشاب يدق فوق المنضدة في جزع »
 - اظنك تلاحظ أنني لازلت في النماة وأن ...
 - هل تسمع فتخبرني عما اذا كنت رايت بالامس أحدا من معارفك في «السيليكت» .
 - رايت نين !
 - وهل تحدثت اليها ؟
 - عفوا ! انني لم أوجه اليها حديثا على الإطلاق !
 - وفي اى مكان كانت تجلس ؟
 - الى المائدة الثانية الى يمين « البار » .
 - أين عثرت على قفازك ، ياسيد مارتان ؟ اذا لم تخنى ذاكرتي
 - فلقد كنت تبحث عنه في تلك الليلة بالقرب من صناديق القلعة ، في الفناء ...
 - فندت عن السيد مارتان ضحكة قصيرة عسيرة .
 - كان في البيت ! . تصور اننى خرجت «بفردة» واحدة ولم
 - الحظ ذلك ...
 - عندما غادرت ميدان الفوج ، أين ذهبت ؟
 - تنزهت .. على طول الطوار .. فقد كنت .. كنت أشعر ..
 - بصداع ..

— هل تنزهه غالبا في المساء ، بدون زوجتك ؟

— أحبانا !

كان يتعذب ، ولم يكن يدري ماذا يصنع بيديه المغلفتين في القفاز .

— وهل انت ذاهب الآن الى مكتبك ؟

— كلا ! لقد اعتذرت بالتليفون . فانا لا أستطيع ان اترك زوجتي في ...

— ايه حسن ! اذهب اذن لتكون الى جوارها ...

ومكث ميّجريه . وراح الرجل الطيب يبحث عن طريقة لائقة للاستئذان .

— الى الملتقى ، يا روجيه ..

قالها وهو يتلع لعابه ..

— اعتقد .. اعتقد ان من الأفضل ان تزور والدك ..

ولكن روجيه اكتفى برفع كتفيه والتطلع الى ميّجريه بجزع .
وسمعت ضوضاء السيد مارتان وهي تتلاشى على السلم .

كان الشاب لايقول شيئا . وراحت يده ، بطريقة آليسة ، تجذب زجاجة من الاتير ، كانت فوق منضدة السرير ، وتضمهما بعيدا .

وسال مفتش المباحث بتؤدة :

— اليست لديك اية تصريحات تريد الادلاء بها ؟

— كلا !

— لانه لو كان ماتريد ان تقوله ، فمن الأفضل ان تدلي به الان على ان تدلي به فيما بعد ..

— لن يكون لدى ما اقوله لك فيما بعد .. بلى ! . هناك شيء اريد ان اقوله لك حالا : وهو انك تدس نفسك في الامور اكثر من اللازم ...

— طبعاً ، مادمت لم تر والدك ، مسساء امسى ، فلا بد وانك

الآن بدون مال ؟

- هو ماتقول !
 - وابن ستجد المال ؟
 - لانتسفل بالك بشائى .. أرجوك .. تسمع ؟ ..
 وراح ، يصب بعض الماء فى الطست ليقتسل .
 وبشبات ، شرع ميجهريه يخطو بضع خطوات فى الحجرة ، ثم
 يخرج ، ودخل الجانب المجاور ، حيث كانت المراتان فى انتظاره .
 وفى هذه المرة كانت سيلين هى التى تبدو أكثر اضطرابا . أما
 « نين » وكانت جالسة فى الكرسى المبطن ، فقد كانت تفرص منديلا
 لى هدوء وهى تتطلع الى فراغ النافذة بعينها الواسعين الحاملتين .
 وراحت عشيقه روجيه تسأل قائلة :
 - وماذا بعد ؟ ..
 - لا شىء ! تستطيعين الانصراف .
 - هل والده فعلا هو الذى ؟ ..
 ثم قالت ، فجأة ، وقد تفضن جبينها :
 - ولكنه عندئذ ، سيرث ؟
 وانصرفت وهى تفكر .
 وعلى طوار الشارع ، سأل ميجهريه رفيقته .
 - الى أين ذاهبة ؟
 فندت عنها حركة مبهمه غير مكرثة ، ثم قالت :
 - انى ذاهبة الى ملهى « الطاحونة الزرقاء » لارى ما اذا كانوا
 يرغبون فى اعادتى الى العمل ..
 كان يرنو اليها باهتمام ودود .
 - هل كنت تحبين كوشيه كثيرا ؟
 - قلب لك ذلك بالامس : لقد كان نموذجا للرجل الانيق ...
 والمرء لا يعثر على أمثاله كثيرا ، أقسم لك ! .. عندما افكر أن
 شخصا قدرا قد ...
 وسالت مبرقان ، ثم لا شىء بعد ذلك .
 - هنا ! قالتها وهى تدفع بابا صغيرا خصص لدخول الفنانين .
 وكان ميجهريه يشعر بالظما ، فدلج الى « بار » لى يتناول

قدحا من النبيذ كان عليه أن يذهب الى ميدان الفوج . الا ان رؤية جهاز التليفون جعلته يتذكر انه لم يمر بعد بطوار المصوغات ، وانه ربما كان هناك بريد عاجل في انتظوره . فطلب خادم المكتب :

— أهذا انت يا جان ؟ .. لا شيء لى ؟ .. كيف ؟ .. سيدة تنتظر منذ ساعة ؟ .. تلبس الحداد ؟ .. اليست هى مدام كوشيه ؟ .. هيه ؟ .. حرم السيد مارتان ؟ .. انا آت ؟

حرم السيد مارتان فى زى الحداد ! وتنتظره منذ ساعة فى ردهة مركز الشرطة القضائية !

كل ما يعرفه ميجريه عنها لايمدو خيالا من المظل : ذلك الخيال الغريب الذى رآه بالأمس ، على ستلر الطابق الثانى ، عندما كان يتحرك وقد راحت شفتاه تضطربان فى تشهير شنيع .

— ان هذا يقع فى اغلب الأحيان ! كذلك قالت له حارسة البيت .

وموظف التسجيل الطيب المسكين ، الذى نسى قفازه ، وراح يتنزه بمفرده وسط ظلام الأرصفة ..

وعندما غادر ميجريه الفناء ، فى الواحدة صباحا ، كانت هناك ضوضاء تصدر عن زجاج نافذة !

وصعد سلم مركز الشرطة القضائية المترب فى تؤدة ، وفى طريقه شد على أيدي بعض الزملاء ونفذ رأسه من خلال باب الردهة المنفرج .

كانت هناك عشرة كراسى مبطنة بالقטיפه الخضراء ، ومنضدة اشبه بمنضدة البلياردو . على الحائط لوحة الشرف : مائتا صورة تمثل مفتشين قتلوا اثناء تادية الخدمة . وعلى الكرسى المثل فى الصدارة ، تجلس سيدة ترتدى السواد ، متوترة للغاية ، تحمل حقيبتها فى إحدى يديها وتستقر يدها الأخرى على مقبض مظلة ، شغلتان دقيقتان ، ونظرة حادة تصوبها أمامها .

ولم تلت حراكا عندما شعرت بأن هناك من يلاحظها .
وبهذه الملامح الجامدة ، كانت تنتظر .

(٤)

نافذة الطابق الثانى

وسبقت ميجريه بتلك الأنفة العدائية التى قسم أولئك الذين يجدون فى سخريه الآخرين شر البلايا •

- تفضلى بالجلوس ، ياسيدتى !

كان ميجريه يبدو ثقيلا ، طيبا ، عيناه مبهمتان ، عندما استقبلها وعين لها كرسيًا ينيره مستطيل النافذة . فاستقرت فيه متخذة نفس الوضع الذى كانت عليه فى الردهة قبل .

وخضع وقور ، بلا شك ! ووضع معركة أيضا ! لم تكن عظام كتفها لتلمس المسند • وكانت يدها التى يفلها قفاز من الحيوط السوداء متأهبة للتحرك دون أن تدع الحقيقة التى ستتأرجح فى الهواء لم يحدث ذلك •

- أظنك ، ياسيدى المفتشى ، تتسائل لماذا أنا •••

- كلا !

لم تكن شراسة من جانب ميجريه أن حبرها بعلم الطريقة منذ أول احتكاك • ولم تكن مصادقة كذلك • كان يعرف أن ذلك أمر ضرورى • واعتدل ، هو ، فى كرسي المكتب • كان مطروحا الى الوراء ، فى وضع مبتدل ، يدخن غليونيه فى أنفاس قصيرة شرمة •

وارتجفت مدام مارتان ، أو بالأحرى تصلب كتفها •

- ماذا تريد أن تقول ؟ اتنى أظن أنك لم تكن تنتظر أن •••

- بلى !

وابتسم لها ابتسامة ساذجة • وفجأة راحت الأصابع تفلق
فى القفاز الأسود المنسوج • وبمنظرة حادة ، جابت الأفق وطرق
مدام مارتان الهام فقالت :

- هل تلقيت خطابا من مجهول ؟

كانت تؤكد وهى تستفسر ، وقد اتخذت مظهر الوائية مما
تقول ، الامر الذى جعل المفتش يبتسم ابتسامة عريضة ، لان هذا
ايضا كان سمة مميزة تتفق وكل ما كان يعرفه عن محدثته •

- لم اتلق خطابات من مجهول ...

فهزت رأسها متشككة •

- لا تحاول أن تقنعنى ...

كانت تخرج متدفقة حياة من سجل صور العائلة • وكانت
تناسب قدر المستطاع مع موظف التسجيل الذى تزوجته •

كان المرء لا يجد صعوبة فى أن يتخيلهما ، عصر الأحد ، وهما
يرتقيان الشانزليزيه : ظهر مدام مارتان الأسود العصبى ، وقبعتهما
المنحرفة دائما بسبب الشعر المتجمع فوق رأسها ، ومشيتها العجلى
التي تنم عن امرأة نشيطة ، وحركة ذقنها التي تشير الى كلمات
قاطعة ... والمعطف المطاط الخاص بالسيد مارتان • وقفازه
الجلدى ، وعصاه ، ومشيته المطمئنة ، الهادئة ومحاولاته فى
التسكع والتوقف امام المروضات ...

- هل كان لديك ملابس حداد ؟

هكذا دمدم ميجريه بمكر وهو يطلق نفخة ضخمة من الدخان ...

- لقد توفيت أختى منذ ثلاث سنوات ... أقصد أختى المقيمة

فى « بلوا » ، التي تزوجت من مفتش مباحث ... وهكذا ترى
... أن

- أن ؟ ...

لاشى ! كانت تحذره ! كان الوقت مناسباً لتشعره بانها

ليست كاية امرأة !

ومن جهة أخرى ، بدت عصبية ، ذلك لأن الحديث الذي كانت قد أعدته لم يعد يجدى قتيلا بسبب ذلك المفتش الثقيل .

- متى علمت بموت زوجك الأول ؟

- طبعاً ... صباح اليوم ، مثل الجميع ! ان الحارسة هي التي أخبرتنى أنك تتولى هذا الأمر ، ولما كان موقعي حساساً ... لن تستطيع أن تدرك .

- بلى ! وبالمناسبة ، ألم يقم ابنك بزيارتك عصر الأمس ؟

- بماذا تريد أن تلمح ؟

- لاشئ . مجرد سؤال .

- تستطيع الحارسة أن تخبرك بأنه لم يأت لزيارتي منذ ثلاثة أسابيع على الأقل ...

كانت تتكلم بجفاء . فازدادت نظرتها عدوانية . ألم يخطئ ميجريه إذ لم يدعها تلقي حديثها ؟

- اننى سعيد بمسماك لأنه يدل على رقتك و ...

لقد غير كلمة «رقّة» وحدها شيئاً ما فى عيني المرأة الرماديتين ، فأحنت رأسها تعبيراً عن الشكر ثم قالت :

- هناك مواقف شديدة الصعوبة ! لا أحد يدرك ذلك . حتى زوجي ، الذى يشير على بعدم ارتداء الحذاء ! وأنت تلاحظ أننى ارتديته دون أن ارتديه ، فلا خمار ! ولا كريب ! مجرد ملابس سوداء ...

وراح يؤيد بذقنه ، ووضع غليونيه فوق المنضدة .

- ليس لأننا منفصلان ، ولأن زوجيه اشتقانى ، اننى ...

واستعادت أطمئنانها ، وراحت تقترب بلا شعور من الحديث المعد .

- وبخاصة فى منزل كبير كهذا ، به ثمان وعشرون عائلة ! « وأية عائلات ! أنا لا أتحدث عن سكان الطابق الأول ! وزيادة على ذلك ! إذا كان السيد سان - مارك قد تلقى تربية طيبة فان زوجته

قد لا تحبى الناس نظير ذهب العالم كله ... عندما يتلقى المرء
تربية محترمة ، فمن الصعب عليه أن ...

— هل ولدت فى باريس ؟

— كان أبى بائع حلوى فى « ميو » ، ...

— فى أية سن تزوجت من السيد كوشيه ؟

— كنت فى العشرين من عمرى ... لاحظ أن والدى ما كانا
ليدعانى أخدم فى المحل ... فى ذلك العصر كان كوشيه يتجول ...

كان يؤكد أنه يكسب بسخاء ، وأنه قادر على إسعاد امرأة ...
وراحت نظرتها تجمد ، وتتأكد أن ليس ثمة تهديد بالسخرية
عند ميجريه .

— أفضل ألا أقول كم قاسيت معه ! ... كل الأموال التى
كان يجمعها ، كان يفقدها فى المضاربات المزرية ... كان يدعى أنه
سيصبح غنيا ... وكان يغير مكانه ثلاث مرات فى العام ، لدرجة
أنه عندما ولد ابنى لم يكن لدينا درهم ندخره ، وكان على أمى أن
تدفع ثمن القماط ...

وأخيرا وضعت مظللتها قبالة المكتب • وتصور ميجريه أنها
ستتحدث بنفس الحدة الجافة التى كانت تتحدث بها عشية
الأمس ، عندما لمح خيال ظلها على الستار •

— إذا كان المرء لا يستطيع أن يمول امرأة ، فلا ينبغي له أن
يتزوج ! هذا هو ما أقوله ! وبخاصة إذا كان الشخص لا يتمتع
بشيء من عزة النفس • لأننى لا أكاد أستطيع أن أحصى لك جميع
المهن التى مارسها كوشيه ... كنت أطلب إليه أن يبحث عن مركز
محترم ، بمعاش مضمون ... فى الحكومة ، مثلا ... على الأقل ،
لو حدث له شيء ، لا أبقى أنا بلا شيء ... ولكن كلا ! لقد بلغ به
الأمر أن يتبع سباق فرنسا للدراجات لست أدري بأية صفة ...
كان هو الذى يرحل فى المقدمة ويتولى مهمة التموين أو شيء من هذا
القبيل ! وكان يعود بلا مليون واحد • هذا هو الرجل ! وهذه هى
الحياة التى عشتها ...

- أين كنتما تسكنان ؟

- في نانر ! لأننا لم نكن نستطيع دفع ايجار مسكن في المدينة هل عرفت كوشيه ؟ . لم يكن لييسالى بذلك ، هو ، ولم يكن ليخجل من ذلك ! ولم يكن قلقا . . . كان يدعى أنه ولد ليجنى أموالا كثيرة وأنه سيجنيها . . . وبعد الدراجات ، اتى دور سلاسل الساعات . . . كلا ! انك لا تستطيع ان تتكهن . . . سلاسل ساعات يبيعها في أسواق عامة ياميلدى 1 وكانت اخواتى لا تجرون على الذهاب الى سوق «نوبى» خشية أن يقابلنه على هذه الأماكن . . .

- هل أنت التي طلبت الانفصال ؟

وأطرقت برأسها في حياء ، غير أن ملامحها لاتزال مشدودة .
- كان السيد مارتان يسكن نفس العمارة التي كنا نسكنها . . . كان أكثر شبابا منه الآن . . . وكان يتمتع بمركز محترم في الحكومة . . . وكان كوشيه يتركنى دائما وحيدة ليجرى وراء المغامرات . . . أوه ! فلم يكن هناك غير حل صحيح ولانق ! . . . وقد ابلغته لزوجى . . . وكان طلب الانفصال باتفاق متبادل بسبب التنافر في الطباع . . . وكان على كوشيه أن يدفع لى فقط نفقة من أجل الطفل . . . وانتظرنا مارتان وأنا ، عاما قبل أن نتزوج . . . وهنا راحت تتحرك فوق الكرسي ، وراحت أصابعها تجذب مقبض الحقيبة الفضى .

- وكما ترى ، لم يكن لى حظ على الإطلاق .

وفي البداية لم يكن كوشيه يسدد النفقة بانتظام ! ومن الصعب بالنسبة لامرأة حساسة ، أن ترى زوجها الثانى يقوم بالانفاق على طفل ليس ابنه . . .

كلا ! لم يكن ميجريه نائما ، على الرغم من عينيه المسبلتين ، والفليرون المطفأ الذى وضعه بين أسنانه .

لقد غدا الأمر أكثر كدرا فقد اغرورقت عينا المرأة ديدات شفتاهما تضطربان بطريقة تنير القلق .

- لم يكن هناك أحد غيرى يعرف أننى قاسيت ٠٠٠ قمت على تعليم روجيه .. أردت له أن يحصل على ثقافة محترمة .. لم يكن ليشبه أباه ٠٠٠ كان عطوفا ، حساسا ٠٠٠ وعندما بلغ السابعة عشرة ، وجد له مارتان مكانا فى أحد البنوك لكى يتعلم مهنة ٠٠٠ ولكنه قابل كوشيه ، فى هذه الأثناء لا أدري أين ٠٠٠

- هل اعتاد أن يطلب أموالا من أبيه ؟

- لاحظ أن كوشيه كان يرفض لى كل طلب ! كان كل شىء من أجلى غالبا للغاية . كنت أتولى حياكة أنوابى بنفسى ، وكنت احتفظ بالقبعة ثلاث سنوات ٠٠٠

- أو كان يعطى روجيه كل ما كان يطلبه ؟

- لقد أفسده ! . فقد هجرنا روجيه ليعيش وحده .. ولازال يأتينى من آن لآخر .. ولكنه كان يذهب أيضا لزيارة والده ! .
- هل تسكنان ميدان المفوج منذ فترة طويلة ؟

- منذ ثمانى سنوات تقريبا .. عندما عثرنا على الشقة ، لم تكن حتى نعلم أن كوشيه يعمل فى الأمصال ٠٠٠ وقد أراد مارتان أن ننقل الى مسكن آخر .. ما كان لينقصنا غير ذلك ! .. لو كان هناك من يجب أن يرحل ، لكان كوشيه اليس كذلك ؟ .. كوشيه ؟
وقد أصبح ثريا بطريقة لا أعرفها ، والذي كنت أراه يصل فى عربة يقودها سائق ! .. فقد كان لديه سائق .. ورأيت زوجته .
- فى بيتها ؟

- لقد ترقبتها على طول طوار الشارع ، لأتأمل شكلها .. اننى أفضل الا أقول شيئا . لم تكن شيئا عظيما ، على كل حال ، على الرغم من المظاهر التى كانت تبسديها وعلى الرغم من معطفها الاسترخائى ..

فمر مجريه بيده فوق جبينه . لقد راح الأمر يتحول الى فكرة مسيطرة ، فقد مضى ربع ساعة وهو يثبت نظره فى نفس الوجه ، ولاح له الآن أنه قد لا يستطيع محوه من غشاء عيتيه .

وجه رقيق ، زال عنه لونه ، ذو ملامح دقيقة ، كثيرة الحركة .
يبدو أنه لم يعبر في حياته الا عن ألم مستسلم .

وذكره هذا أيضا ببعض شخصيات العائلات ، بل بشخصيات
من عائلته هو . فقد كانت له عمة ، أضخم من مدام مارتان ، لكنها
كانت هي الأخرى دائمة الشكوى . فعندما كانت تزورهم ، وهو
حينئذ طفل ، كان يدرك أنها ما أن تجلس حتى تخرج منديلا من
حقيبتها .

واستطردت مدام مارتان :

— أرماس ، أيتها الشقية ! .. أية حياة ! ينبغي أن أقص
عليك ما فعله يير فوق ذلك ..

كانت لا تزال محتفظة بذلك القناع المتحرك ، وتلك الشفتين
الدقيقتين ، وتلك العينين اللتين كان يعبرهما في بعض الأحيان شيء
أشبه بضوء شارد .

وفقدت مدام مارتان خيط أفكارها فجأة . فقد كانت مضطربة .
— والآن ، يجب أن تدرك موقفى .. طبعاً ، تزوج كوشيه
مرة أخرى . ولم يحل دون ذلك أننى كنت زوجته ، وأننى قاسمته
مطلع حياته ، أى أقسى سنوات عمره .. وليست الأخرى أكثر
من دمية .

— هل لك مطالب بخصوص الميراث ؟

— أنا ! ..

صرخت بهذا حائقة — اننى لا أرغب فى ماله على الإطلاق !
لنحسنا أغنياء ! ومارتان يعوزه الاقدام ولا يعرف كيف يتقدم ،
ولا يتورع عن تقطيع العشب تحت أقدام زملاء له أدنى منه ذكاء .
ولكننى أفضل أن أخلم فى المنازل عن أن أرغب ..

— هل أرسلت زوجك ليخبر روجيه ؟

لم تشحب ، لأن ذلك كان أمراً مستحيلاً . بل ظل لونها رمادياً
على درجة واحدة . غير أن موجاً ما طرأ على نظرتها .

— كيف عرفت ؟

وأضافت فجأة وهي حائقة :

— آمل ألا يكون هناك من يراقبنا ، على الأقل ؟ اذن لطفح الكليل ! .. وفي هذه الحال لن أتردد في أن أجا إلى السلطات العليا ..

— هدئي من روعك ، ياسيديتي .. أنا لم أقل مثل هذا الكلام .. ان المصادفة هي التي جعلتني أقابل السيد مارتان صباح اليوم ..

ولكنها ظلت متشككة ، ترمق مفتش المباحث بلا رقة .
— لسوف أندم على أنني حضرت ! .. أردت أن أتبع الطريق الصحيح وبدلا من أن تشكرني ...

— أؤكد لك أنني أشكر لك هذه الزيارة شكرا جزيلا .
ولم يغير هذا من شعورها . فهذا الرجل الضخم عريض المنكبين ، الذي يرمقها بعينين ساذجتين كلتيهما خاليتين من الأفكار ، كان يفرعها .

— على كل — نطق بها بصوت حاد — من الأفضل أن يكون المتكلم أنا ، لا الحارسة — عندئذ ، كنت ستعلم ..
— انك أول زوجة للسيد كوشيه ..
— هل رأيت الأخرى ؟

وبذل ميجريه شيئا من الجهد حتى لا يبتسم .
— ليس بعد ..
— أوه ! لسوف تذرف دموع التماسيح .. ولا يمنع هذا أنها الآن هادئة البال .. فبالملايين التي جمعها كوشيه ..

وها هي تبكي فجأة ، وترتفع شفتها السفلى ، الأمر الذي غير وجهها ، ونزع عنه ما كان يشده .

— انها لم تعرفه عندما كان يكافح ، عندما كان في حاجة إلى امرأة تساعد ، وتشجعه .. ومن وقت لآخر ، كانت تنطلق ،

زفرة مكتومة ، لا تكاد تسمع ، تخرج من العنق النحيل الذى شغل عليه شريط من الحرير الموج .
ونهضت ، وراحت تتطلع حولها لكى تتأكد أنها لم تنسى شيئا .

- ولكن هذا كله ليس له حساب ..
ونلت عنها ابتسامة مريوة . تحت الدموع =
- على كل ، لقد أديت واجبى .. لست أدري ماذا تظن بى ؟
ولكن ..
- أوكد لك أن ...

كان سيختار فى مواصلة حديثه لو لم تكمل هى بنفسها :
- يستوى هذا بالنسبة لى ! ان عندى ضميرى الذى يحركنى !
لا أحد يستطيع أن يذكره كما ...
كان ينقصها شيء ما . لم تكن تعرف ماذا يكون . وألقت نظرة أخرى دائرية ، وحركت إحدى يديها ، وكأنها تعجب اذ وجدتها فارغة .

وكان ميجريه واقفا ، فأوصلها الى الباب .
- أشكر لك مسعاك ..

- لقد قيمت بما اعتقدت أن من واجبى القيام به ..
وبلغت الدهليز ، حيث كان بعض المفتشين يثرثرون وهم يضحكون . فمرت بالقرب منهم فى أنفه ، دون أن تدبر رأسها .
وبعد أن أغلق الباب ، سار ميجريه ناحية النافذة التى فتحتها على سعتها ، على الرغم من البرد . كان مرهقا ، وكأنه انتهى من تحقيق عسير مع أحد المجرمين . لقد انتابه ، بوجه خاص ، ذلك الانحراف الزاجى الغامض الذى يشمر به المرء عندما تضطره الظروف الى أن يطلع على بعض مظاهر من الحياة يفضل عادة أن يكون جاهلا بها .

لم يكن أمرا محزنا . لم يكن أمرا عنيفا .

لم تقبل شيئا غريبا • لم تكشف لمفتش المباحث عن أى
أفق جديد •

ولم يمنع هذا أن تفضى تلك المقابلة الى شبه احساس بالتقرز •
وعلى ركن من أركان المكتب ، كانت نشرة الشرطة مفتوحة •
تعرض صورا لنحو عشرين شخصا مطلوب البحث عنهم • وجوه
وحشية لأغلبهم • ورؤوس بها ندبات غيرت معالمها ••

- أرنست سترويتز ، محكوم عليه غيايبا أمام محكمة « كان » ،
لأنه قتل مزارعة على طريق « بينوفيل » ••

وتأشيرة بالأحمر :

• - خطير • مسلح دائما •

• شخص يبيع حياته غاليا •

ايه حسن ! ان ميجريه كان يفضل ذلك على هذه الصورة
الرمادية المائعة وعلى هذه القصص العائلية ، وعلى هذه الجريمة
التي لم تتضح بعد ولو أنه كان يتكهن أنا ستبيل الأفكار •

كانت هناك صور تلاحقه : آل مارتان ، كما كان يتصورهما •
يوم الأحد ، فى الشانزليزيه • والمعطف المطاط والشريط الحريرى
الأسود حول رقبة الزوجة ••

ورن ميجريه الجرس • فظهر « جان » فأرسله ميجريه ليحضر
البيانات التي كان قد طلبها عن كل من يتصلون بالماساة •

لم يكن فى الأمر ما يثير • لقد قبض على « نين » مرة ، مرة
واحدة ، فى « مونارتر » على اثر مداومة قام بها رجال الشرطة •
وقد أفرج عنها بعد أن أثبتت أنها لاتعيش من الدعارة •

أما عن كوشيه الابن ، فقد ذكرته فرقة مكافحة القمار وتحدثت
هند جريدة « الموندين » التي كانت تشك فى أنه ينساق فى تهريب
المخدرات • ولكن لم يثبت ضده شيء واضح •

وباتصال تليفونى بشرطة الآداب ، علم أن « سيلين » التي
تلقب بلوازو وولدت فى سان - أمون - موترون ، كانت معروفة

فى هذه المدينة • وكانت لديها بطاقتها وتأتى للزيارة بانتظام «
وقال رئيس الفرقة :

- انها ليست بالفتاة الشريرة ! انها تكتفى فى أغلب الاحيان
بصديق أو صديقين دائمين •• ولا نقابلها الا عندما تعود
الى الشارع •••

ولم يكن جان ، خادم المكتب ، قد غادر الحجرة ، فراح يوجه
نظرة ميجريه الى شىء ما قائلا :

- لقد نسيت تلك السيدة مظللتها !

- أنا عارف •••

- آه !

- أجل ، أنا فى حاجة اليها •

ونفض مفتش المباحث وهو يتنهد ، وراح يفلق النافذة ، واستقر
فى كرسيه موليا ظهره ناحية اللهب فى الوضع الذى اعتاده عندما
يكون فى حاجة الى التفكير •

وبعد ذلك بساعة ، كان فى استطاعته أن يلخص ذهنيا جميع
المذكرات التى وصلته من الأقسام المختلفة والتى كانت تنتشر
فوق مكتبه •

أولا ، تقرير الطبيب الشرعى الذى قام بعملية التشريح «
والذى يقول بأن الرصاص أطلق على بعد ثلاثة أمتار تقريبا وان
الميتة كانت صاعقة • وان معدة القتيل كان بها كمية ضئيلة من
الكحول ، ولكنها لا تحتوى على مواد غذائية •

أما مصورو تحقيق الشخصية ، الذين كانوا يقومون بأعمالهم
فى أعلى دوار المحكمة ، فقد صرحوا بانهم لم يكشفوا عن أية بصمة
تثير الانتباه •

وواخيرا أكد بنك ليون أن كوشيه ، وهو معروف لديه ، قد من
بالمركز الرئيسى فى الثالثة والنصف تقريبا وأخذ أوراقا مالية

جديدة قيمتها ثلاثمائة ألف فرنك كما هي عادته في الليلة الأخيرة
من كل شهر .

اذن فقد أصبح من المقرر تقريبا أن كوشيه ، لدى وصوله ،
قد وضع الثلاثمائة ألف فرنك في الخزانة ، الى جانب الستة آلاف
التي توجد بها قبلا .

ولما كانت لاتزال لديه بعض الأعمال ، فانه لم يعد اغلاق
الخزانة التي استند ظهره اليها .

وكان الضوء في المعمل يشير الى أنه غادر المكتب في وقت معين،
اما لكي يتفقد الاماكن الأخرى ، واما ، وهذا أكثر الأمرين احتمالا،
لكي يذهب الى الأحواض . فهل كانت الأموال لا تزال في الخزانة ،
عندما عاد الى مكتبه ؟

ان العقل يقول بالنفي ، لانه في هذه الحال ، كان لابد للقاتل
من أن ينحى الجثة جانبا ، ليشد الباب الثقيل ويستولى على
الأوراق المالية .

كان هذا هو الجانب الفني في الموضوع . قاتل - لص أم قاتل
ولص تصرفا منفردين ؟

وأضى ميجريه عشر دقائق عند قاضي التحقيق ليبلغه بالنتائج
التي توصل اليها ولما كان النهار قد انتصف منذ قليل ، فقد عاد
الى بيته ، وقد استدارت كتفاه ، مما يدل على انحراف مزاجي .
- هل أنت الذي تقوم ببحث قضية ميدان الفوج ؟

هكذا سألته زوجته وكانت قد قرأت الجريدة .

- انه أنا !

وبطريقة خاصة ، جلس ميجريه ، وراح يتطلع الى زوجته
بعنان فائض مع قدر ضئيل من القلق في نفس الوقت .

كانت مدام مارتان لاتزال ماثلة أمام عينيهِ ، بوجهها الرقيق ،
وثيابها السوداء ، وعينيها الأليمتين .

وتلك الدموع التي كانت تتفجر على حين فجأة ، راحت تختفي ،
وكانها قد انتقدت بلهب داخلي ، لتعاود الظهور بعد ذلك .

ومدام كوشيه التى تملك الفراءات .. ومدام مارتن التى
لا تملك منها شيئا ..

وكوشيه الذى يمون المشتركين فى صباق فرنسا للدراجات ،
وزوجته الأولى التى كان عليها أن تحتفظ بالقبعة نفسها ثلاثة
أعوام ..

- والابن .. وقنينة الاتير ، فوق متضدة السرير فى فندق
بيجال .. وسيلين التى لا تنزل الشارع إلا عندما لا يكون لديها
صديق منتظم لفترة من الزمن
ونين ..

- يظهر عليك عدم الارتياح ... وتبدو معتلا ... وبحسبك
الناظر مصابا بالزكام .
- حقا ! فقد كان ميجريه يشعر بواخزات فى منخرية ، وبما
يشبه الفراغ فى رأسه .

- ما هذه المظلة التى آتيت بها ؟ انها بشعة !
مظلة مدام مارتان ! السيد مارتان وزوجته ، بالمعطف والثوب
الحريرى الأسود ، وهما يتريضان يوم الأحد فى الشانزلييريه !
- أبدا .. لا أعرف فى أية ساعة

انها مشاعر لا يمكن تأويلها :
- كان المرء يشعر بأن هناك شيئا غير عادى يجرى فى المنزل ،
شيئا يبين عن نفسه من ظاهره .
ما هذه الجلبة التى تجرى فى حانوت أكاليل الموتى المرصعة
باللؤلؤ ؟ ما من شك فى أن المستأجرين يساهمون معا من أجل
تقديم أكليل .
وما هذه النظرات القلقة التى يوجهها حلاق السيدات ، الذى
يطل حانوته على الناحية الأخرى من القبو ؟
على كل ، لقد كان المنزل فى ذلك اليوم بادى الكتابة . ولما
كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، وكان الليل قد شرع يهبط ، فقد

كان المصباح الضئيل الذي يبعث على السخريه قد اشعل تحت القبر .

وفي المواجهه ، كان حارس حديقه الميدان يوصد ابوابها . وراح لخدام آل سان - مارك ، فى الطابق الاول ، يسدل الستائر فى توده ، واعيا لما يفعل .

وعندما طرق ميجريه باب المسكن ، وجد مدام بورسييه الحارسة ، منهمكة فى قص الأحداث على محصل من دوفاييل يعلق فوق كسوته الزرقاء سلسله تنتهى بصليب .
- منزل لم يحدث به شئ على الاطلاق .. صه ! انه مفتش المباحث ..

كانت تبدو عليها اواصر قرابة غامضة تربطها بـ مدام مارتان ، بمعنى انهما كانتا لا تندرجان تحت سن معينة كما انهما لا تبعان أيا من الجنسين . وانهما كانتا بائستين ، أو كانتا فى عداد البائسات .

كل ما هناك أن الحارسة كانت تنسم ، الى جانب الاذعان ، باذعان شبه بهيمى لصيرها .

- جوجو .. ليلي .. لا تمكنا فى الطريق .. صباح الخير يا سيدى المفتش .. كنت فى انتظارك هذا الصباح .. يالها من قصة ! رأيت فى أثناء مرورى بجميع السكان أن أقوم بعمل وكشف من أجل الاسهام فى شراء اكليل .. هل عرف متى تقام الجنازة ؟ .. وبالنسبة ، مدام سان مارك .. كما تعلم ! ..

أرجوك ألا تخبرها بشئ .. لقد حضر السيد سان - مارك مصباح اليوم .. انه يشفق عليها من الانفعالات ، فى حالتها هذه ..

وفى الفناء الذي يكتنفه جو من الزرقه ، كان المصباحان ، مصباح القبور والمصباح المثبت فى الحائط ، يرسمان خطوطا طويلة صفراء .

وسأل ميجريه قائلا :

- شقة مدام مارتان ؟

ـ بالطابق الثاني ، الباب الثالث ، الى اليسار بعد المنعطف ٥٠
وتعرف مفتش المباحث على النافذة التي كان ينبعث منها
الضوء ، ولكن لم يكن يرتسم على الستار أى خيال .
ومن ناحية المعامل ، كانت تبلغ الآذان قعقة الآلات الكتابية ٥
ووصل أحد الموزعين .

ـ أمصال الدكتور ريفير ؟

ـ فى أقصى الفناء ! الباب الأيمن ! دع اختك فى حالها
يا جوجو !

وراح ميجريه يرتقى السلم ، وقد حمل تحت ابطه مظلة مدام
مارتان . وحتى الطابق الأول ، كان البيت مجددا ، فقد أعيد طلاء
الجدران ، ودهنت درجات السلم .

وابتداء من الطابق الثاني ، كان هناك عالم آخر ، حوائط
قذرة ، وأرضية مبشورة . وكان يكسو الأبواب طلاء رمادى ردى ٥
وفوق هذه الأبواب كان المرء يرى تارة بطاقات زيارة مشبوكة ،
وتارة لوحات بارزة من الألمنيوم .

وثمة بطاقة زيارة المائة منها بثلاث فرنكات تقول :

ـ السيد ادجار مارتان وحرمة . والى اليمين شريط مضفور ٥
ثلاثى اللون ، ينتهى « بشوشة » ملساء . عندما جذبها ميجريه ،
ون فى فراغ المسكن جرس صغير ثم سمعت خطوات عجلى وانطلق
صوت يسأل :

ـ من هناك ؟

ـ أنا ، أحمل اليك مظلتك !

وفتح الباب . كان المدخل لا يعدو مترا مربعا ، على أحد جدرانها
مشجب يتدلى منه المعطف المطاط ، وفى المواجهة ، باب مفتوح لحجرة
تستعمل للاستقبال والطعام فى نفس الوقت ، بها آلة لاسلكى
فوق صندوق .

ـ آسف لازعاجك . لقد نسيت صباح اليوم هذه المظلة
فى مكتبى ٥٥

- عجيب ! وأنا التي أعتقد أنني نسيتهما في « الاتوبيس » كنت أقول لمارتان ..

لم يتسهم ميحريه • كان قد ألف هذا الصنف من النساء اللاتي يدعون أزواجهن بالقابهم •

كان مارتان موجودا ، يرتدى سروالا مخططا يلبس فوقه سترة منزلية من الجوخ البني السميك •

- تفضل ، أرجوك ••

- لا أحب أن أزعجكم ••

- ليس هناك ما يزعج من ليس لديهم شيء يخفونه •

قد تكون الرائحة هي السمة الأساسية التي تميز بين المساكن • كانت رائحة هذا المسكن غير نفاذة ، يطفى عليها شمع الأرضية ، والمطبخ ، والثياب القديمة •

وفي أحد الأقفاس يقفز طائر « كناريا » ، ويقذف أحيانا بقطرة ماء الى الخارج •

- احضر الكرسي لسيادة المفتش ••

الكرسي ! لم يكن هناك سوى كرسي واحد ، كرسي طرائف فولتير يكسوه جلد من القمامة بحيث يبدو أسود ••

وكانت مدام مارتان مختلفة عما كانت عليه في الصباح ، وراحت تضعم قائلة :

- فلتتناول شيئا ما •• أجل •• مارتان ! احضر قليلا من

الحمر ••

وكان مارتان ضيقا حرجا • أمن الممكن أن يكون المنزل خاليا من الشراب ؟ أمن الممكن ألا يكون به غير ثمالة في زجاجة ؟

- شكرا يا سيدتي ! أنا لا أشرب أبدا قبل الأكل •

- ولكن لديك وقتا كافيا ••

كان شيئا محزنا ! محزنا لدرجة تقنط معها أن تكون انسانا • أن تعيش على أرض تتلأل الشمس عليها ساعات عديدة كل يوم • وبها طيور حفيفية مطلقة السراح !

لابد وأن هؤلاء الناس لا يحبون النور ، ذلك لأن المصابيح الكهربائية الثلاثة كان يحجبها بغاية قماش ملون كثيف لا يتقد منه الا قدر ضئيل من الأشعة .

وطرق ميجريه خاطر ، فقال في نفسه :

- وبخاصة شمع الأرضية !

لأن هذا هو ما كان يطفى على الرائحة !

ومن جهة أخرى ، كانت المنضدة المصنوعة من الفرو الغليظ مصقولة كارضى أعدت للترحلق .

وتصنع ميجريه ابتسامة رجل يستقبل زائرا .

- انكما تتمتعان بمشهد بدیع ، اذ يطل مسكنكما على ميدان الفوج ، ذلك الميدان الذى لا مثيل له فى باريس !

كان ميجريه وهو يقول ذلك يعرف تماما أن النوافذ تطل على الفناء .

- كلا ! ان أسقف شقق الواجهة فى الطابق الثانى ، شديدة الانخفاض بسبب طراز الأثاث .. وأنت تعلم أن الميدان بأكمله يقع كاثر تاريخي .. ليس لنا الحق فى أن نمسه .. ان هذا أمر يرثى له ! .. ها قد مرت سنوات ونحن نريد أن نقيم حاما و ...

كان ميجريه قد اقترب من النافذة . وبحركة غير مكترثة ، وراح يزيع ستار خيالات الظل . ثم ظل ثابتا ، متائرا حتى أنه نسي أنه يتحدث كزائر مهذب .

وفى قبالة كانت توجد مكاتب كوشيه ومعمله .

من أسفل ، كان قد لاحظ أن هناك نوافذ من الزجاج المعتم . ومن هنا ، لاحظ أنها لم تكن الا النوافذ السفلى ، أما الأخرى فكانت رائقة صافية ، تقوم الحاديات بتنظيفها مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع .

وفى نفس المكان الذى قتل فيه كوشيه كان السيد فيليب يظهر جليا للعيان وهو يوقع على خطابات كتبت على الآلة السكاتية ،

تقدمها له أمينة سره ، واحداً واحداً • وكان الناظر يستطيع أن يميز
مفلاق الحزينة •

أما باب الاتصال بين المكتب والمعمل فكان منفرجاً •
ومن خلال نوافذ المعمل كانت تبدو نسوة فى قمصان بيضاء •
مصطفات على طول منضدة كبيرة وقد انهمكن فى رص الأنايب
الزجاجية •

كان لكل منهن عمل • فكانت الأولى تتناول الأنايب المكشوفة
فى سلة ، وتقوم الثانية بتسليمها لأحد الموظفين ، وقد أصبحت
بحزما كاملة التفليف والتأشير • وقصارى القول ، كانت تسلمها
بضاعة معدة لتسلم للصيدليات •

• ومع ذلك يجب أن تشرب شيئاً !
هكذا جاء صوت مدام مارتان من خلف ميجريه •
وتحرك زوجها ، وفتح خزانة فى الحائط ، واصططكت الأكواب •
• لا أكثر من جرعة من « الفرموت » يا مسيدى المفتش !
وبما قدمت لك مدام كوشيه • كوكتيل • •
وندت عن مدام مارتان ابتسامة حادة ، كما لو كانت شفتاهما
من الدهن •

المجنونة

وقال ميجريه والكاس في يده ، وقد راح يتطلع الى مدام مارتان :
 - آه ! لو كنت نظرت من النافذة ، مساء أمس ! لكان تحقيقى
 انتهى ، منذ بدايته ! لأنه من المستحيل ، ألا يرى المرء ، من هنا «
 لكل ما يجرى فى مكتب كوشيه .

عشنا كان المرء يحاول أن يجد أى مقصد فى نبرة صوته ،
 أو فى هيئته . كان يرشّف من كأس « الفرموت » فى يده
 وهو يثرثر .

- بل ولقلت ان هذه الحادثة تمثل حالة من أغرب حالات
 الشهادة من الوجهة الجنائية . اذ شاهد شخص من بعيد حادثة
 القتل ! ماذا أقول ؟ ان المرء مستعينا بنظارة مقربة ، يستطيع أن
 يرى شفاء المتحاذين واضحة الى الحد الذى يستطيع معه أن يستمع
 المحادثة التى دارت بينهما . .

لم تدر مدام مارتان ماذا تظن ، فاتخذت موقفا متحفظا :
 وارتسمت على شفتيها الشاحبتين ابتسامة جامدة .

- ومع ذلك فى الهول ذلك الانفعال الذى كنت ستعرضين له !
 ان تكونى فى نافذتك ، هادئة ساكنة ، وعلى حين فجأة ، ترى
 شخصا يهدد زوجك القديم ! ان الامر أسوأ من ذلك ! لأن المشهد
 كان لابد وأن يكون أكثر تعقيدا . اننى أتخيل كوشيه بمفرده
 تماما ، غارقا فى حساباته . . ثم ينهض ويتوجه ناحية الأحواض «

وعند عودته ، كان شخص ما قد نقب فى الخزانة ، ولم يكن لديه وقت للفرار .. ومع ذلك فهناك أمر غريب ، فى هذه الحالة : وهو أن كوشبيه جلس ثانية .. صحيح أنه ربما كان يعرف مساره ؟ .. وتحدث إليه .. ووجه إليه اللوم ، وطلب إليه أن يعيد المال ..

فقالت مدام مارتان :

- ولكن ، كان يجب أن أكون فى النافذة !

- ربما استطاع آخرون القاء نفس النظرة من بعض النوافذ الأخرى فى نفس الطابق ؟ .. من يقطن الى يمينكم ؟

- فتأتان وامهما .. أولئك اللاتي يدرن الحاكى كل مساء .

وفى تلك اللحظة دوت صرخة سبق أن سمعها مجريه . فظل صامتا لحظة ، ثم دمدم قائلا :

- المجنونة ، اليس كذلك ؟

- صه ! ..

أصدرتها مدام مارتان ، وهى تتوجه بخطى خرساء ناحية الباب . وفتحت فجأة . فلمحا ، على ضوء المعر الردىء ، شسبح امرأة يبتعد مسرعا .

- العجوز الكريهة !

دمدت بها مدام مارتان بصوت مرتفع تستطيع أن تسمعه الأخرى . واذا عادت اعقابها ، وهى تتميز من الفيظ ، راحت تشرح الامر للمفتش :

- انها ماتيلد العجوز : طاهية قديمة ! هل رايتها ؟ ان المرء ليظنها ضفدعا ضخما ! انها تسكن الحجرة المجاورة ، مع اختها المجنونة . وهما على درجة واحدة من الهرم والقبح ! ولم تفادن المجنونة حبرتها مرة واحدة منذ ان نزلنا فى هذه الشقة .

- ولماذا تصرخ بهذه الطريقة ؟

- آه ! ان هذه النوبة تملكها عندما يتركونها وحيدة فى الظلام . انها تخاف مثل الاطفال . انها تعوى .. ولقد انتهى بى

الأمر الى ادراك حيلهما ... تمن الضباح الى المساء ، تظل ما تملك
العجوز تحوم فى الممرات ... ونحن دائما على ثقة من اننا سنجد
إقابلة خلف أحد الأبواب ، وعندما نفاجئها فى هذا الوضع ، لا تكاد
تضيق لذلك ... فتبتعد هادئة ، رابطة الجاش ... للدرجة ان
المرء لا يشعر انه فى داره ، وان عليه ان يخفض صوته ، اذا أراد
أن يناقش شئون الأسرة ... ولقد فاجأتها لتوى متلبسة ، اليس
أذلك ؟ ايه حسنا ! اننى اراهن أنها عادت ...

ووافقها ميجريه قائلا :

— وضع غير لطيف ! ولكن المالك ، ألا يتدخل ؟

— لقد فعل كل شيء لطردهم ... ولكن للأسف هناك القوانين
التي تحول دون ذلك ... دون مراعاة أنه مما ينافى الصحة ،
ومما ، تمجه النفوس ، ان تعيش هاتان العجوزتان فى حجرة
صغيرة ! . اننى اراهن انهما لا تغسلان على الاطلاق .
وتناول مفتش المباحث قبعته .

— أرجو ان تغفرا لى اننى أزعجتكما . لقسس حان وقت
الانصراف ...

ومنذ تلك اللحظة ، تكونت لدى ميجريه صورة واضحة من
المسكن ، ابتداء من أغطية الأثاث ، حتى التقاويم التى تزين
الجدران .

— لا تحدث ضوضاء ! ... ستفاجيء العجوز ...

ولم يتحقق ذلك تماما . فلم تكن فى الممر ، ولكنها كانت خلف
بابها المنفرج ، كمنكبوت ضخم يتربص . ولابد وأنها اربكت عندما
لمحت المفتش يوجه اليها تحية رقيقة عند عبوره .



فى وقت تناوله المشهيات ، كان ميجريه جالسا فى «السليكت»
ليس بعيدا عن البار الأمريكى حيث لا حديث الا عن السباق ...
وعندما اقترب منه للتفأل . عرض عليه صورة ووجهه كوشيه
الذى كان قد اخذها فى الصباح من فندق شارع بيغال .

— هل تعرف هذا الشاب ؟

فدهش النادل وقال :

— غريب ...

— ما الغريب ؟

— لقد انصرف منذ أقل من ربع ساعة ... كان جالسا الى هذه المائدة ! . ولم يكن ليجذب انتباهي ، اذ لم يكن قد قال لي ، بدلا من أن يحدد لي نوع المشروب الذي كان يريده .

— نفس المشروب الذي قدمته لي بالأمس !

غير أنني لم اكن اذكر أنني رأيته على الإطلاق .. فقلت له :

— هل تسمح فتذكرني به ؟

— واحد جان — فيز .

ولقد عجبت لذلك كثيرا ! لأنني واثق من أنني لم اقدم هذا المشروب مساء أمس !

ولبث بضع دقائق ، ثم انصرف ... ومن الغريب انك رحت تعرض على صورته منذ وقت قصير .

لم يكن لمة غرابة على الإطلاق . لقد اراد روجيه ان يقيم الدليل على انه كان في « السيليكيت » عشية الأمس ، كما صرح بذلك لميجريه . وقد لجأ في سبيل ذلك الى حيلة ماهرة ، ولم يخطئ الا حين اختار مشروبا قليل الشيوع . ومرت دقائق ، ثم دخلت نين ، عابسة النظرة ، وجلست الى اقرب مائدة من البار ، وما ان لححت المفتش ، حتى نهضت ، وترددت ، ثم تقدمت نحوه وسألته قائلة :

— هل تريد ان تتحدث الى ؟

— ليس هذا بالضبط . ولكن ؟ مع ذلك ! احب ان اوجه

اليك سؤالا .

— انت تحضرين الى هنا كل مساء ، اليس كذلك ؟

— كان ريمون يحدد هذا المكان دائما للقائنا !

- هل تعتادين الجلوس قى مكان محدد ؟
 - هناك ، حيث جلست عند دخولى ...
 - وهل كنت تجلسين هناك بالأمس ؟
 - أجل ، لماذا ؟
 - الا تذكرين انك رايت صاحب هذه الصورة ؟
 وتاملت صورة روجيه ، ثم دمدت قائلة :
 - انه جارى فى الفندق .
 - أجل ، ابن كوشيه ...
 فراحت عيناها تحمقان ، وقد اضطربت لهذا التوافق ؟
 وساءلت نفسها عما يخبئه من أمور .
 - لقد زارنى ، صباح اليوم ، بعد انصرافك بقليل ... كنت
 عائدة من « المولان بلو » .
 - ماذا كان يريد ؟
 - لقد سألنى قرصا من الاسبرين من أجل « سيلين » التى
 كانت مريضة ...
 - وفى المسرح ؟ هل اقاموك بعمل ؟
 - على أن اكون هناك هذا المساء .. لقد أصيبت احدى
 الراقصات ... واذا لم تتحسن حالها فسأحل محلها ، وربما
 تماقدوا معى نهائيا ...
 - ثم خففت صوتها لكى تكمل الحديث ؟
 - المائة فرنك معى ... هات يدك ...
 وكانت هذه الحركة بمثابة كشاف أبان ملامح لنفسية بأسرها .
 كانت لا تريد أن تناول ميجريه المائة فرانك علانية ! كانت تخشى أن
 تسبب له حرجا ! فكانت تقبض على الورقة فى راحة يدها وقد
 طوتها دقيقا ! ثم ناولته اياها كما لو كانت تناولها لعشق .
 - اشكرك افقد كنت طيبا معى ...
 وكان المرء يشعر بفتورها . كانت تتطلع حولها دون أن تصير

انتباها لمن يروحون ويجيئون . ومع ذلك فقد ارتسمت على شفيتها ابتسامة شاحبة ، ونوهت قائلة :

— ان مدير الفندق ينظر إلينا ... انه يسأل نفسه عن سبب وجودى معك ... ويبدو انه يظن اننى عثرت على بديل « لريمون » ... ستعرض نفسك للشبهة !

— هل ترغبين فى تناول شئ ؟

فاجابت فى السر :

— متشكرة ! لو احتجت الى مصادفة ... انا فى « المولان بلو » ،
اسمى « اليان » ... وانت تعرف مدخل الفنانين ، شمسارغ
« فونتين » ؟ ...

لم يكن فى الامر مشقة كبيرة . فقد ضغط مجريه على جرس
باب شقة شارع هوسمان ، قبل موعد العشاء بدقائق . كانت
واحدة زهر الاقحوان الكثيرة تسود الجو ابتداء من المدخل . فراح
الخادمة تفتح الباب ، وهى تسير على اطراف أصابعها .

لقد ظنت ان المفتش يريد ببساطة ان يقدم بطاقته ، فقادت
دون ان تقول كلمة الى حجرة الميت ، التى يجلفها السواد ، وعند
المدخل ، وجد عديدا من بطاقات الزيارة فوق طبق كبير من طراز
لويس السادس عشر .

كان الجسد قد اودع الصندوق ، الذى كان يختفى تحت
الأزهار .

وفى احد الأركان ، يرى الناظر رجلا وجيها بلبس الحداد ،
واح يومئ الى مجريه بواسطة ايماء خفيفة .

وفى مواجهته ، كانت هناك امرأة فى نحو الخمسين من
عمرها ، ذات ملامح غليظة ، تهندمت فى ثياب ريفية ، تجثو على
ركبتيها . واقترب المفتش من الرجل :

— هل أستطيع ان أرى مدام كوشيه ؟

— سأسأل أختي عما إذا كان في استنظاظتها مقسابلتك ١٥٠٠
مياذلك؟ ...

— ميجريه ! مفتش المباحث المكلف بالتحقيق ...
ولبثت الفلاحة مكانها . ومرت عدة لحظات ، عاد الرجل على
أثرها وقاد ضيفه خلال الشقة .

وبخلاف رائحة الزهور التي كانت تسود المكان كله ، كانت
الحجرات محتفظة بطابعها المعتاد . كانت شقة جميلة من طراز أواخر
القرن الماضي ، شان غالبية شقق شارع هوسمان . حجرات
واسعة ، والأسقف والأبواب أقرط في تزيينها بعض الشيء .

وأثاث طراز كلاسيكى . وفى حجرة الاستقبال ، علفت ثريا
أثرية من البلور ، ما أن يسر المرء حتى تدق .

كانت مدام كوشيه موجودة ، يحيطها ثلاثة أشخاص قامت
بتقديمهم . أولا ، الرجل الذى يرتدى الحداد قدمته قائلة :

— أخى ، هنرى دورومى ، محامى فى الحكمة ...
ثم رجل متقدم فى السن :

— عقيد دوروموى ، عمى ...
وأخيرا ، امرأة فضية الشعر :

— ماما ...

كانوا جميعا ، وقد ارتدوا الحداد ، غابة فى الوجاهة . ولم
يكن الشئى قد رفع من فوق المائدة . وكانت هناك بقايا «توست»
وحلوى .

— تفضل بالجلوس ...

— سؤال ، لو سمحت . هذه السيدة التي فى حجرة الميت ...
فقال مدام كوشيه :

— انها أخت زوجى ... وصلت صباح اليوم من « سبانت
آمون » ...

لم يينسم ميجريه . ولكنه أدرك السبب . كان يشعر تعامسا

أنهم لا يحبون لآحد أن يشهد عائلة كوشيه لآدى وصولها ، فى ثياب
بريفية أو برجوازية .

وكان هناك أقارب الزوج « آل كوشيه » وأقارب الزوجة « آل
دورموى » . قال دورموى يتسمون بالأناقة ، والزانة وجيهم
يرتدون فعلا ملابس الحداد . أما آل كوشيه ، فلم يصل منهم الا
هذه المرأة التى تفضظ صديريتها الحريية على ما تحت أبطيها
يشدة .

— هل أستطيع أن أقول لك كلمتين على انفراد ، يا سيدتى ؟
فأستأذنت من أفراد عائلتها ، الذين كانوا يريدون مفسادة
المكان .

— البشوا ، أرجوكم . . . سنذهب الى الركن الأصغر . . .
لقد بكت ، لآشك فى ذلك ، ثم ذرت وجهها بالمساحيق ، وكان
فى استطاعة الناظر إليها أن يدرك بصعوبة أن جفنيها مشختان
قليلا . وكان صوتها غائبا بفعل أعياء حقيقى .

— ألم تتلق اليوم زيارة غير منتظرة ؟
قرفعت رأسها ، على مضض :

— كيف عرفت ؟ . . . أجل . . . عند حلول العصر ، جاءنى
ابن زوجى . . .
— كنت تعرفينه قبلا ؟

— معرفة طفيفة . . . كان يزور زوجى فى مكتبه . . . وفوق
ذلك فقد صادفناه مرة فى المسرح ، وقام ريمون بتقديم آجدنا
للآخر . . .

— وفيما كانت زيارته ؟

كانت ضيقة ، فأشاحت بوجهها :

— كان يريد أن يعرف ما اذا كنا عثرنا على وصية . . . وقد
طلب الى أيضا أن ادله على رجل أعمالى ، حتى يتحدث اليه بشأن
الآجراءات . . .

وتنهدت ، وحاولت أن تجد علرا لهذه الخسارة .

- هذا من حقه ! اعتقد أن نصف الثروة تؤول آيسه ، وأنا لا انوى ان اعضمه هذا الحق .

- هل تسمحين لى بتوجيه بعض الاسئلة الفضولية ؟ ...
عندما تزوجت كوشيه ، هل كان غنيا ؟

- اجل ... أقل من اليوم ، ولكن أعماله كانت قد بدأت تروج ...

- زواج حب ؟

فندت عنها ابتسامة غبشاء .

- لقد تقابلنا فى « دينار » ... وبعد ثلاثة اسابيع ، سألنى عما اذا كنت اوافق على ان اصبح زوجة له ... واستعلم اهلى عنه ...

- وهل كنت سعيدة ؟

ونظر فى عينيها ، واصبح فى غنى عن اجابتهما . وأثر ان يدمدم قائلا :

- كان ثمة فارق فى السن ... كان كوشيه مشغولا بأعماله باختصار ، لم يكن بينكما حب كبير ... أصبح هذا ... كنت تدبرين منزله ... وكانت لك حياتك ، وكانت له حياته ...

- اننى لم أوجه له اللوم على الاطلاق ! لقد كان رجلا يتمتع بحبوبة عظيمة ، وفى حاجة الى حياة كثيرة الحركة ... ولم أكن لأحب ان أقف فى طريقه .

- ألم تشعرى بالغيرة ؟

- فى البداية ... ثم تعودت على ذلك ... واعتقد انه كان يحبني كثيرا .

كانت على قدر غير قليل من الجمال ، ولكن دون تائق أو احتداد . ملامح دقيقة الى حد ما ، وجسد بض . وأناقة معتدلة . لا بد وانها كانت رائعة عندما قامت بتقديم الشاي الى صديقاتها ، فى حجرة الاستقبال الفاترة المريحة .

— هل كان زوجك يحدثك كثيرا عن زوجته الاولى ؟
عندئذ جمدت حدقتها . وحاولت ان تخفي غضبها ، ولكنها
ادركت ان الامر لا ينطلى على ميجريه ، فراحت تقول :

— ليس على أنا أن ...

— آسف . فنظرا لظروف الجريمة ، لا يمكن أن يكون هناك
مجال للتلف في الحديث ...

— ألا ترتاب في أحد ؟ ...

— أنا لا أرتاب في أحد . اننى احاول أن أكون صورة عن حياة
زوجك ، والمحيطين به ، والأعمال والحركات التى قام بها فى ليلته
الاخيرة . هل كنت تعلمين أن تلك السيدة تسكن نفس العمارة
التي توجد بها مكاتب كوشيه ؟

— أجل ! لقد اخبرني بذلك ...

— وكيف كان يتحدث عنها ؟

— كان يحقد عليها ... ثم خجل لهذا الاحساس ، وكان يزعم
انها فى الواقع تعتبر شقيقه ...

— ولماذا شقيقة ؟

— لانه لم يكن هناك ما يشبعها ... ثم ...

— ثم ؟

— انك تدرك ما اريد ان اقله ... انها نفعية الى حد كبير
... وباختصار ، لقد هجرت « ريمون » لانه لم يكن يكسب مالا
كافيا ... وبعد ذلك ، نجده غنيا ... وتكون هى زوجة موظف
بسيط ؟ ...

— ألم تحاول أن ...

— كلا ! لا اعتقد انها طلبت منه مالا على الاطلاق . صحيح ان
زوجي ما كان ليطلعتى على ذلك . كل ما امرقه لن مقابلته لها فى
ميدان الفوج كانت تسبب له آلا . واعتقد انها كانت تتخذ
التدابير لكى تكون فى طريقه . لم تكن تتحدث اليه ، ولكنها كانت
تنظر اليه بازدراء .

لم يستطع المفتش أن يكتفم ابتسامة ، وهو يتصور اللقائات
التي كانت تتم تحت القبو : كوشيه ينزل من العربية ، نضجرا
موردا ، ومدام مارتان ، متعاطمة ، بقفاها الاسود ومعطفها وحقيبة
يدها ، ووجهها السام ...

— اهذا كل ما لديك من معلومات ؟

— ولو استطاع لغير مكان عمله ، ولكن من الصعب أن يعثر المرء
فى باريس على معامل ...

— بالطبع ، الا تعرفين اعداء لزوجك ؟

— أبدا ! كان يتمتع بحب الجميع ! كان طيبا للغاية ، طيبا
لدرجة تثير السخرية ... لم يكن ينفق ما يجمع من أموال : كان
يبعثرها ... وعندما كنا نلومه على ذلك ، كان يجيب بأنه ظل
سنوات يجمع المليم فوق المليم ، ل يبدو فى النهاية مبدرا ...

— وهل كان يزور عائلتك كثيرا ؟

— نادرا ! فليست العقلية واحدة ، اليس كذلك؟ ... ولا الأذواق
متفقة .

وبالفعل ، وجد ميخريه صعوبة فى تصويره لكوشيه فى حجرة
الاستقبال مع المحامى ، والعقيد والام التى تنم حركاتها عن
كبرياء .

كل هذا من اليسير ادراكه .

شاب دموى ، قوى ، سوقى ، يخرج من لاشئ ، يقضى ثلاثين
عاما من حياته سعيا وراء الثروة ، ولا يقتات الا من لحوم الاباقى
المصابة بالكلب ... ويصبح غنيا . وفى « دينار » يتوصل الى
مجتمع لم يقبله على الاطلاق . فتاة بمعنى الكلمة ، عاتلة برجوازية
... شائى ، و « بيتى فور » وتينس ، وصحاب .

تزوج ! لكى يبرهن لنفسه أن كل شئ أصبح جائزا له منذ
الآن ! لكى تكون له حياة داخلية كأولئك الذين لم يطلع عليهم الا من
الخارج !

تزوج أيضا لانه تأثر بهذه الفتاة العاقلة المؤدبة ...
فكانت شقة شارع هوسمان ، بما فيها من اشياء تقليدية ...
كل ما هناك ، انه كان فى حاجة الى الانطلاق خارج البيت ،
- ورؤية اناس آخرين ، والتحدث اليهم دون تحفظ ... والى
الحانات ، والبارات ...

ثم كان فى حاجة الى نساء أخريات •
كان يحب زوجته طبعاً ! وكان معجباً بها ! وكان يحترمها !
وكانت هى تؤثر فيه •

ولكن من اجل هذا السبب الآخر كان فى حاجة الى نساء
ساعات تربيتهن ، على شاكلة « نين » لينطلق معهن على سجيته •
وتراقص سؤال على شفتى مدام كوشسيه ، كانت تتردد فى
توجيهه • ومع ذلك ، فقد عقدت عزمها وهى تتطلع الى مكان
آخر :

- أريد أن أسالك عما اذا •• الأمر حساس •• اعذرنى ••
كانت له صديقات ، أنا أعرف ذلك •• فهو لم يكن يكتم ذلك -
ولا يكاد ! الا عن حرص ••

اننى أريد أن أعرف ما اذا كان سينتج عن ذلك مضايقات ،
وفضائح ••

كانت بلا شك ، تتصور عشيقات زوجها كأولئك العاهرات
اللاتى تتحدث عنهن الروايات ، أو كنجوم السينما !

- لا تخشى شيئاً !

ابتسم لها ميجريه وهو يستعيد صورة نين الصغيرة ، زوجها
القروى ، وحفنة المجوهرات التى أودعتها بنك التسليف • عصر
اليوم نفسه •

- النى يكون من الضرورى أن ؟ ••

- كلا ! لن يكون هناك أى تعويض !
وعجبت . لذلك كثيراً ، وربما اغتمت لذلك قليلاً ، لانه اذا كانت

هؤلاء النساء لا يطالبن بشيء ، فذلك لانهن يحتفظن لزوجها بنوع من الود ! وكذلك هو بالنسبة لهن .

— هل حددتم موعد الجنازة ؟

— لقد تكفل أخى بهذا الأمر .. وستقام يوم الخميس ، فى سان — فيليب — دى — رول ..

وبلغت الأسماع أصوات تأتي من حجرة الطعام المجاورة «
أو كان هذا بالطبع ايذانا بأن تهيأ لطعام العشاء ؟»

— لم يبق أمامى الا أن أقدم لك الشكر ، وإن استأذنتك فى الانصراف ، مكررا أسفى ..

وبينما كان يهبط شارع هوسمان سائرا على قدميه ، فوجيء بنفسه يدمدم قائلا وهو يحشو غليونه ؟

— كوشيه أيها الجليل !

وجد نفسه يقول ذلك كما لو كان كوشيه هذا صديقا قديما له . كان منعفلا لدرجة الدهول لكونه لم يعرفه الا ميتا .

كان يبدو له انه يعرفه معرفة تامة من جميع النواحي .
أمن الممكن أن يكون ذلك بسبب النساء الثلاث ؟

الأولى ، ابنة الحلوانى ، التى تقطن فى « نانثير » ، والتى تارق لأن زوجها قد يظل أبدا بلا مهنة محترمة .

ثم فتاة « دينار » ، وما حظى به كوشيه من أشباع فضيل لكبريائه ، اذ أصبح نسيبا لعقيد .

و « نين » ، ولقاءات « اليليكيت » .. وفندق بيجال ..

والابن الذى كان يأتيه طالبا المال و مدام مارتان التى كانت تتخذ التدابير لتقالبه تحت القبر ، وربما املا منها فى مضايقته عن طريق تأنيب الضمير ..

أعجب بها من نهاية ! وحيد تماما فى المكتب الذى يأتيه لئلا مكتئب الى الخزانة المفتوحة ، وبداه فوق المنضدة ..

ولم يلمح أحد شيئا .. والحارسة ، وهى تمر بالغناء ، كانت تراه فى نفس المكان خلف الزجاج الكثيف ..

ولكن الذى يقلقها بنوع خاص ؟ هى مدام سان - مارك التى كانت تلد .. والجنونة التى راحت تصرخ بشدة ! وبمعنى آخر ، ماتيلد العجوز التى راحت تتربص خلف احداً ابواب المر وهى تعمل اللباد .

والسيد مارتان ، فى معطفه المطاط ، ينزل وينقب عن قفازه قرب أوعية القمامة .. ثمة شئ أكيد : وهو أن شخصاً يملك الآن الثلاثمائة والستين ألف فرنك المسروقة ! وأن شخصاً قام بالقتل !
- الرجال جميعهم أنايون ! قالتها مدام مارتان بمرارة ووجهه يقطر الما .

أهى التى معها الثلاثمائة والستون ألف فرنك التى قام بتسليمها بنك تسليف ليون ؟ أهى التى تملك المال ، المال الكثير ، حزمة كاملة من الأوراق المالية الكبيرة تمثل سنوات من الراحة بغير اهتمام بالقد ولا بالمعاش الذى يؤول لها بموت مارتان ؟

أهو روجيه ، بجسده الأملس ، الذى استنفده الاتير وسيلين التى التقطها من الطريق لكى يخلبها معه فى سرير الفندق الرطب ؟
أهى نين ، أم مدام كوشيه ؟

وعلى كل ، هناك مكان كان من الممكن أن نرى منه كل شئ ؟ مسكن آل مارتان .

وهناك امرأة تحوم فى البيت ، تلصق اذنبا بكل الأبواب ، وتجرب نعلها فى المرات .

وحدث ميحريه نفسه قائلاً :

- يجب أن أقوم بزيارة ماتيلد العجوز !

ولكنه عندما بلغ ميدان الفوح ، صباح اليوم التالى ، راحت الحارسة التى كانت تفرز البريد « كومة كبيرة لمعمل الإصصال ، يتضاعف خطابات فقط لبقية السكان » توقفه !

- هل أنت صاعد الى آل مارتان ؟ .. لست أدري ما اذا كنت

لحسن الصنع . فقد كانت مدام مارتان الليلة تقاسى من مرض
فظيع . واضطرتنا للجوء الى الطبيب . ان زوجها كالمجنون .

كان الموظفون يعبرون الفناء ، فى طريقهم لاستلام أعمالهم فى
المعامل والمكاتب ، وكان الخادم ينفض البساط فى نافذة بالطابق
الأول .

وثمة صراخ طفل وليد وأغنية شعبية ترددها مرضعة فى
رتابة .

- ٦ -

حرارة اربعمون درجة

صه ! .. لقد نامت .. ومع ذلك .. أدخل ..

وغاب السيد مارتان ، راضيا . راضيا ان يدع مسكنه الذي تسوده الفوضى على مرأى من الفريب ، راضيا أن يبدو هو نفسه بدون هندمة أو تزين وقد تدلى شارباه ، الضاربان الى الاخضرار ، مما يدل على أنه تعود تخضيبهما .

لقد ظل طوال الليل ساهرا . كان منهكا ، لا يصدر عنه رد فعل على الاطلاق . وعلى أطراف أصابعه ، راح يوصد الباب الذي يوصل الى حجرة النوم ، ويرى الناظر منه قائم السرير وطستا موضوعا على الأرض .

- هل أخبرتك الحارسة .

كان يهمس ، ونظراته القاقاة مصوبة ناحية الباب . وفي نفس الوقت ، راح يطفىء موقد الغاز الذي كان يسخن فوقه كمية من القهوة .

- فنجان صغير ؟

- شكرا .. لن أزعجكم كثيرا .. لقد آثرت اللجوء للسؤال من مدام مارتان .

- انت لطيف للغاية !

قالها مارتان باقتناع .

كان في الحقيقة لا يرى في ذلك سوء قصد على الاطلاق

لقد كان من الاضطراب بمكان حتى أنه فقد كل حاسة للنقد . وفضلاً عن ذلك ، فهل كان يتمتع بهذه الحساسية قبلاً ؟
— ما أظلمها ، تلك الأزمات ! . هل تسمح لى بتناول قهوتى فى حضرتك ؟ ..

واضطرب لما وجد أن حملات سرواله تصطك بسنانتى ساقيه ، فأسرع يصلح من زينته ، ورفع عن النضد زجاجات ادوية كانت تتحرك .

— هل تنتاب هذه الأزمات مدام مارتان كثيراً ؟

— كلا .. وبخاصة هذا النوع العنيف ! .. انها عصبية الى حد بعيد ..
يبدو انها عندما كانت فتاة كانت تنتابها ازمات عصبية كل اسبوع ..

— والان ايضا ؟

فرمقه مارتان بنظرة كلب مضروب ، وتجرأ فصرح قائلاً :
— انا مضطر لهاودتها .. فما ان تواجهها معارضة بسيطة ، حتى تقع فريسة لهيجان شديد !

كانت هيئته بنوع خاص مدعاة للسخرية ، بمعطفه المطاط ، وشاربيه المشمعين ، وقفازه الجلد . كان صورة كاريكاتورية لموظف صغير مغرور .

اما الآن فقد زال لون شعره ، وبدت هيئاه عليلتين . لم يكن لديه وقت لكى يفتسل . وكان لا يزال مرتدياً قميص النوم ، تحت سترة قديمة .

كان يبدو رجلاً رضى الخلق . وكان الناظر بذلك اذ يدرك انه يبلغ من العمر خمسين عاماً على الأقل .
— هل تعرضت لما ضايقها ، مساء أمس ؟

— كلا .. كلا ..

كان مذعوراً ، ينظر حواليه فى فزع .

— ألم تستقبل أحداً ؟ .. ابنها ، مثلاً ؟ ..

— كلا .. وصلت أنت . قم فتناولنا عشاءنا .. قم ..
— ماذا ؟

— لا شيء .. لست أدري .. لقد حدث هذا من تلقاء نفسه ..
فهى حساسة الى حد بعيد .. لقد لاقت فى حياتها كثيرا من
المصائب ..

هل كان يعتقد فعلا فيما يقول ؟ كان مجبره يشعر أن مارتان
يتحدث لكى يقتنع نفسه .

— باختصار ، اليس لك ، شخصا ، رأى فى هذه الجريمة ؟
فترك مارتان الفئجان الذى كان بيده يسقط على الأرض . ترى
أكانت أعصابه مريضة ، هو الآخر ؟

— ولماذا يكون لى رأى ؟ .. أقسم لك .. لو كان لى رأى ، لـ ..
— أنت ؟

— لست أدري .. شيء فظيع .. وبالذات فى وقت تكثر فيه
أسئالتنا فى المكتب .. لم يكن لدى وقت حتى لكى أخبر رئيسى ،
هذا الصباح ..

ومر بيده النحيلة فوق جبينه ، ثم شرع يلتقط قطع الخبز ..
ويبحث طويلا عن خرقة ليحفف الأرضية .

— لو استمعت لى ، لما بقينا فى هذا البيت ..

كان خائفا ، كان هذا واضحا . كان منحلا من الخوف . ولكن
ما مبعث هذا الخوف ، ومن يا ترى مصدره ؟

— أنت رجل شهيم ، اليس كذلك يا سيد مارتان ؟ والرجل
النزيه ..

— لقد خدمت اثنين وثلاثين عاما و ..

— اذن ، لو كنت تعرف شيئا يمكن أن يساعد العدالة ، فى
الكشف عن الجانى ، فمن واجبك أن تخبرنى به ..
الآن تصطك أسنانه ؟

— كنت أقول بالتأكيد .. ولكننى لا أعرف شيئا .. وأنا نفسى
أريد أن أعرف .. فليست هذه حياة ..

— ما رأيك فى ابن زوجتك ؟

فاستقرت من مارتان على ميجريه نظرة متعجبة ..

— روجيه ؟ .. انه ..

— شخص منحرف ، أجل !

— ولكنه ليس شريرا ، أقسم لك .. انها غلطة أبيه .. كما
أردد زوجتى ذلك دائما ، فلا يجب أن نعطي الفتيان مثل هذه الاموال
الكثيرة .. وهى محقة فى ذلك ! وأنا اعتقد مثلها أن كوشيه لم يكن
إثائى ذلك عن طيبة قلب ، ولا عن حب لابنه الذى لم يكن يكثرث به
.. كان يفعل ذلك ليتخلص منه ، ليكون على وفاق مع ضميره ..

— ضميره ؟ ..

افاحمر وجه مارتان ، وازداد ارتباكاه .

— لقد أخطأ نحو « جوليت » ، اليس كذلك ؟

قالها مارتان بصوت أكثر خفوتا ..

— جوليت !

— زوجتى .. زوجته الاولى .. ماذا فعل من أجلها ؟ لا شيء ..
لقد عاملها معاملة الخادمت . ومع ذلك فهى التى اعانتته فى
الأوقات العصيبة .. وبعد ذلك ..

— لم يعطها شيئا ، طبعاً ..

ولكنها كانت قد تزوجت من جديد ..

افاصطبغ وجه مارتان بلون أرجوانى . كان ميجريه يتطلع اليه
متعجباً مشفقاً لأنه كان يدرك أن هذا الرجل الطيب لا دخل له فى
هذه القضية المذهلة . أن كل ما يفعله هو تزديد لما يمكن أن يكون
لقد سمعه من زوجته مائة مرة ..

لكن كوشيه غنيا ! وكانت هى فقيرة ! .. إذن ..

ولكن المفتش راح يصفى السمع .
- ألم تسمع شيئا ؟

ولزما الصمت برهة . فادركا نداء غير واضح يأتى من الحجرة
المجاورة . فراح مارتان يفتح الباب ، فسمع مدام مارتان تسأل
قائلة :

- ماذا تقص عليه ؟

- لكن .. اننى ..

- انه المفتش ، أليس كذلك ؟ .. ماذا يريد ثانية ؟

لم يكن ميجريه يراها . وكان الصوت صوت انسان راقد ؟
بلغ منه الإرهاق مبلغا بعيدا ، ولكنه مع ذلك يحتفظ برباطة
جاشه .

- لقد أتى المفتش ليسأل عنك ..

- دعه يدخل .. انتظر ! ناولنى منشفة مبللة والمرآة . والماشطة

- ستضايقين ثانية ..

- امسك المرأة معتدلة ! .. كلا ! دعها أفضل .. انك لست
بقادر على أن .. أرفع هذا الطست ! .. آه ! الرجال .. ما أن
تغيب الزوجة حتى يصبح البيت مثل الحظيرة .. دعه يدخل
الآن .

كانت الحجرة مثل حجرة الطعام ، غابسة كئيبة ، قليلة الأثاث ،
مع افراط فى الستائر القديمة ، والأقمشة البالية ، والسجاجيد
الرخيصة التى زالت عنها ألوانها . ومن عند الباب شعر ميجريه
بنظرة مدام مارتان مصوبة نحوه ، هادئة ، حصيفة بطريقة عجيبة .
وعلى صفحة الوجه المشدود ، شهد ابتسامة مريض متملقة .
قالت :

- لا تلق بالا .. كل شيء فى فوضى شنيعة .. وذلك بسبب
تلك الأزمة ..

ونظرت أمامها فى اكتئاب .

- ولكننى فى حال أفضل .. فيجب أن أشفى غدا ، من أجل
الجنائز .. هل ستقام غدا فعلا ؟

- أجل ، ستكون غدا . أنت تتعرضين لهذه الأزمات ..

- كانت تتأبى وأنا طفلة .. ولكن أختى ..

- هل لك أخت ؟

- لى أختان .. لا تعتقد فيما ليس له وجود .. كانت الصغرى
تعرض هى الأخرى للآزمات .. وتزوجت .. وكان زوجها انسانا
حقيرا . وذات يوم انتهز احدى هذه الآزمات وطالب بتحويلها الى
مستشفى الأمراض العقلية .. فماتت ، بعد اسبوع .

- لا تنفعلى !

قالها متوسلا اليها وهو لا يدرى أين يجلس ولا أين ينظر .

فسال ميجريه قائلا :

- مجنونة ؟

فكست ملامح المرأة ، وغدا صوتها رديئا .

- أى أن زوجها أراد أن يتخلص منها ! .. وبعد مضى أقل من
سنة أشهر تزوج من أخرى .. والرجال جميعا هم الرجال . ونحن
نخلص لهم ، ونقتل أنفسنا من أجلهم ..

فتنهذ الزوج قائلا :

- أؤسل اليك !

- أنا لا أقول ذلك من أجلك ! مع أنك لست أفضل من

الآخرين ..

وشعر ميجريه على حين بفتة بما يشبه تيارات من الحقد .
كان ذلك عابرا .

كان ذلك غامضا . ومع ذلك فقد كان على ثقة من أنه لم يخطئ
فى ظنه .

ثم أردفت تقول :

- وهذا لا يمنع اننى لو لم أكن موجودة ..

اليس فى صوتها تهديد ؟ كان الرجل يتحرك فى الفراغ . ولكن
يحافظ على اتزانهِ ، راح يعد جرعة من الدواء يسكبها واحدة واحدة
فى كوب .

— لقد قال الطبيب !

— اننى اسخر من الطبيب !

— ومع ذلك فيجب .. خذى ! اشربى ببطء .. انه ليس رديئا
فنظرت اليه ، ثم نظرت الى ميجريه ، واخيرا شربت ، وهى تهزأ
كتفيتها مستسلمة .

— ألم تأت حقا الا لتسأل عني ؟

قالتها بحذر .

— كنت فى طريقى الى المعامل ، عندما اخبرتنى الحارسة .

— هل اكتشفت شيئا ؟

— ليس بعد ..

فاغلقت عينها ، لتظهر تعبها . وتطلع مارتان الى ميجريه وهى
ينهض :

— واخيرا اتمنى لك شفاء عاجلا .. انك فعلا فى حال احسن .

وتركنه ينصرف . ومنع ميجريه مارتان من توصيله للباب .

— ابقى الى جوارها ، ارجوك .

يا للشخص المسكين ! لعله كان خائفا من البقاء الى جوارها ؟
ولعله كان يتعلق بالمفتش ، لانه عندما يكون هناك ثالث فان الامر
يكون اخف وطأة .

— سترى ان الامر لا يعدو شيئا .

وبينما كان يعبر حجرة الطعام ، سمع صوت شخص يهزج
اقى المهر . ثم لحق بماتيلد المعجوز ، فى اللحظة التى كانت تمسك
اقبها الى حجرتها .

— صباح الخير ، يا سيدتى .

فتطلعت اليه قى خوف ، دون أن تجيب ، ويدها علم ، « آخرة الباب » .

كان ميجريه يتحدث بصوت خافت • اذ كانت عينه على اذن مدام سارتان التى تصفى السمع ، فقد كان من الممكن أن تنهض بدورها فتتصت عند الأبواب •

— أنا ، كما تعلمين ، مفتش المباحث المكلف بالتحقيق ..

• كان يدري مقدما أنه لن يخرج بشيء من هذه الآلة • ذات الوجه الهادى الى الحد الذى أصبح معه قمرى •

— ماذا تريد منى ؟

— أريد فقط أن اسالك عما اذا كان لديك ما تريدين قوله لى .. هل تسكنين هذا المنزل منذ زمن بعيد ؟ ..

— منذ أربعين عاما !

• قالتها بخفاف •

— أنت تعرفين جميع السكان • •

— انا لا اتحدث الى احد !

— اعتقدت أنك ربما تكونين قد رأيت شيئا أو سمعت شيئا • •
ففى بعض الأحيان ، يستطيع دليل بسيط أن يجعل العدالة تسير فى الطريق السليم • •

كانت ثمة حركة ، داخل الحجرة • غير أن المعجوز كانت تتشبث بالباب الموصد فى عناد •

— ألم ترى شيئا ؟

لم تجب

— ولم تسمى شيئا !

— أنك تحسن صنعا ، اذا قلت للمالك أن يركب لى جهاز الفوز • •

— الفوز ؟

— كل من فى المنزل لديهم الفاز . أما أنا فلانه ليس من حقه
أن يرفع أجر مسكنى ، فهو يمنعه عنى . . انه يريد أن يطردنى ! . .
انه يفعل كل شيء لكى أذهب . . ولكنه سيذهب قبلى ، الى القبر ! .
وتستطيع أن تنقل له ذلك عنى . .

وفتح الباب قليلا ، بقدر يبدو معه مستحيلا على المرأة الضخمة
أن تمر من خلاله . ثم أغلقت دونها ، ولم يعد يبلغ الإذان الا ضوضاء
مكتومة فى الحجرة .

— بطاقتك لو سمحت ؟

وتناول الخادم ، الذى كان يرتدى صدرية مخططة ، البطاقة
التي قدمها له ميجريه ، وغاب فى الشقة التي كانت تفيض نورا ،
بفضل النوافذ التي كانت ترتفع الى خمسة أمتار ، الشيء الذى
قلما تصادفه فى غير عمارات ميدان الفوج وجزيرة « سان - لوى » .

كانت الحجرات فسيحة . ومن مكان ما فى الشقة كان يأتى
صوت مكنسة كهربائية . وثمة مرّضعة فى « بلوزة » بيضاء ، وغطاء
رأس أزرق ، تنتقل من حجرة الى حجرة ، وهي ترمق الزائر بنظرة
فضول . .

وجاء صوت قريب يقول :

— أدخل المفتش . .

كان السيد سان - مارك بمكتبه ، فى عباءة البيت ، بشعره
الفضى الذى عنى بتصفيفه . وراح أولا يفلق بابا سنحت الفرصة
لميجريه أن يلح من خلاله سريرا من طراز كلاسيكى ، ووجه امرأة
على وسادة .

— اجلس ، أرجوك . . طبعاً ، انت تريد أن تتحدث معى فى
ذلك الموضوع الموهل ، موضوع كوشيه . .

وعلى الرغم من سنه ، فقد كان يوحى بالقوة ، والصحة . اما
الشقة فكان يسودها جو بيت سعيد ، كل ما فيه منير وبهيج .

- لقد تأثرت لهذه المأساة ، لا سيما وقد وقعت فى وقت
عصيب بالنسبة لى ..
- انا أعرف ..

وسطع فى عيني السفير القديم قيس من كبرياء ، لقد كان
فخورا ان يكون له ولد فى هذه السن .

- أوجو أن نتحدث بصوت منخفض ، لأننى افضل الا تعلم
مدام سان - مارك بهذه القصة .. ففى مثل حالها ، قد نندم او
علمت بالخبر .. ولكن فى الواقع ، فيم تريد أن تسألنى ؟ اننى لا
أكاد أعرف كوشيه هذا .. لقد لمحته مرتين أو ثلاث مرات وأنا أعبر
الفناء .. انه ينتمى الى أوساط أتردد عليها من آن لآخر ، «الهوسمان»
.. ولكن ما كان له أن يرتادها .. كل ما هناك اننى لمحت اسمه فى
الدليل الذى ظهر حديثا .. وأنا اعتقد انه على شيء من السوقية ؟
اليس كذلك ؟

- أى أنه خرج من طبقة الشعب .. ولاقى بعض الصعوبات
ليصبح ما أصبح عليه ..

- لقد أخبرتنى زوجتى بأنه تزوج فتاة من عائلة كريمة ، كانت
صديقة قديمة لها فى القسم الداخلى .. وهذا أحد الأسباب
التي يستحسن من أجلها ألا نطلعها على الأمر .. ماذا ترغب إذن ؟
ومن خلال النوافذ الكبيرة ، كان الناظر يشرف على ميدان
الفوج بأشعة شمسه الخفيفة البهيجة . وفى حديقة الميدان ، كان
البستانيون يقومون برى الأرض الخضراء وأدغال الأزهار . وثمة
مربات نقل تجرها خيول فى خطى ثقيلة .

- مجرد استعلام .. اننى أعلم أنك ، وقد ضقت بانتظار الأحداث
وهذا امر طبيعى ، خرجت مرارا تجوب الفناء .. فهل حدث أن
صادفت شخصا ؟ ألم تر شخصا يتجه ناحية المكاتب التى تقع
اقصى الفناء ؟

فراح السيد مارتان يفكر وهو يعبت بقطع الورق .
- انتظر .. كلا ! لا اعتقد .. يجب أن تعلم أن أمورا أخرى

اكانت تشغل فكرى .. ان الحارسة قد تستطيع ذلك اكثر منى ..
- ان الحارسة لا تعرف شيئا ..

- وانا ... كذلك !... او بالاحرى ... ولكن لا يمكن ان
يكون لهذا اية علاقة بالموضوع .
- قل مع ذلك .

- فى لحظة ما ، سمعت ضوضاء تاتى من ناحية اوعية القمامة
... كنت بلا عمل ... فاقتربت فرايت ساكنة من الطابق
الثانى ...

- مدام مارتان ؟

- اعتقد ان هذا هو اسمها ... اننى اعترف بان معسرفتى
بجيرانى ليست كما يجب ... كانت تنقب فى سطل من الزنك ...
واذكر انها قالت لى :

- ملعقة فضية سقطت عفوا فى القاذورات ...

فسالت :

- وهل عثرت عليها ؟

فقالت بشيء من الاحتداد :

- اجل !... اجل ...

فسال ميجريه :

- وماذا فعلت عندئذ ؟

- صعدت الى مسكنها ، بغطى حثيثة ... انها انسانة ضئيلة
عصبية ، يلوح عليها دائما انها تجرى ... واذا لم تخنى ذاكرتى ،
فلقد حدث ان فقدنا خاتما قيما بهذه الطريقة ... واجمل شيء ،
ان احد لمامى المحرق اعاده للحارسة ، اذ كان قد عثر عليه وهو
يعالج خطافه ...

- هل تستطيع ان تقول لى فى اية ساعة وقعت هذه الحادثة ؟

- قد يكون ذلك صعبا بالنسبة لى ... انتظر ... لم اكن
ارغب فى العشاء ... ومع ذلك ، ففى حوالى الثامنة والنصف ،

واح البير ، خادمنا ، يتوسل الى ان اتناول شيئاً ... ولما رقصت
الجلوس الى المائدة ، احضر لى فى حجرة الاستقبال فطائر صغيرة
بالانشوجة ... كان ذلك قبل ...

— قبل الثامنة والنصف ؟

— أجل ... ولنفترض ان الحادث ، كما تقول ، وقع بعصر
الثامنة بقليل ... ولكننى لا اعتقد ان لذلك اية اهمية . ما رايك
افى هذا الموضوع ؟ ... اما من جهتى فانا ارفض تصديق ما بدأت
بروجه الاشاعات ، من ان الجريمة ارتكبها شخص من المنزل ...
تصور ان اى كائن يمكن ان يدخل الفناء ... ومن جهة اخرى
اقسأوجه للمالك طلباً حتى يوصد الباب منذ الغروب ...

كان ميجريه قد نهض ، فقال :

— لم اكون بعد راى !

واقبلت الحارسة تحمل البريد ، ولما كان باب الردهة لا يزال
مفتوحاً ، فقد لمحت المفتش على حين فجأة وهو يختلئ بالسيف
هنا — مارك .

قلبى يامدام بورسييه ! . لقد قلبت رأساً على عقب ! . وراحت
نظرتها تكشف عن عوالم من الاضطراب !

ترى اسمح ميجريه لنفسه فى ان يرتاب فى آل سان-مارك ؟
او فى مجرد مضايقتهم بأسئلته ؟

— أشكرك يا سيدى ... وأرجو ان تغفر لى هذه الزيارة ...

— سيجار ؟

كان السيد سان — مارك سيداً على قدر كبير من العظمية
تدل على رجل السياسة اكثر مما تدل على رجل الدبلوماسية .

— انا تحت أمرك .

واغلق الخادم الباب . وهبط ميجريه السلم فى ثوذه ، فوجد
نفسه فى الفناء حيث يبحث موزع احدى المحلات الكبرى عن
الحارسة دون جدوى . لم يكن فى المسكن الا كلب ، وقط والطفلان
الصغيران المنصرفان الى تلطيح بعضهما بحساء مختلط باللبن .

— ماما ليست موجودة ؟

— ستعود الآن « سيدى » ! لقد صعدت بالبريد ...

وفى المكان الوضع من الفناء ، بالقرب من المسكن ، كان ثمة أربعة صناديق من الزنك ، ياتيها السكان منذ الليل متتابعين فيلقون فيها بقاذوراتهم . وفى السادسة صباحا ، تفتح الحارسة باب الدخول ، فيقوم رجال التنظيم بتفريغ الاوعية فى عربتهم .

وهذا الركن ، لا يكون مضيئا ، فى المساء . فالمصباح الوحيد الذى ينير الفناء يوجد فى الناحية الاخرى ، أسفل السلم .

فعم جاءت تبحث مدام مارتان تقريبا فى اللحظة التى قتل فيها كوشيه ؟

هل كانت هى الاخرى مصممة على العثور على قفاز زوجها ؟
— كلا ! دمدم بها ميجريه وقد تذكر فجأة أمرا . فمارتان لم ينزل القمامة الا فى وقت متأخر جدا .

اذن فما معنى هذه الحكاية ؟ الموضوع لا يمكن أن يكون موضوع ملقعة ضائعة فى اثناء النهار لا يحق للسكان أن يضربوا أى شيء داخل الاوعية الفارغة ؟

اذن عم كانا يبحثان ، كلاهما ، الواحد بعد الآخر ؟

كانت مدام مارتان تنقب فى نفس الوعاء !

ومارتان كان يحوم حوله وهو يحك اعدادا من الثقاب !

والقفاز ، عثر عليه فى اليوم التالى !

— هل رايت الطفل ؟

ابى هذا الصوت من خلف ميجريه .

كان صوت الحارسة التى كانت تتحدث عن طفل آل سان —

هناك ، وهى أكثر تأثرا بما لو كانت تتحدث عن ابنيها .

— اظن انك لم تخبر السيدة بشيء ؟ فمن الواجب الا تعلم ...

— اعرف ! اعرف !

- اما عن الاكليل ... أقصد اكليل السكان ... قاتنى انساء
هنا اذا كان من الواجب أن نحمله اليوم الى منزل الميت ، أم أن
العرف يحتّم الا تقدمه الا ساعة الجنائز ... كان الموظفون لطفاء
للغاية ، فقد جمعوا ثلاثمائة فرنك .

ثم قالت وهى تلتفت ناحية احد الموزعين :

- ماذا هناك ؟

- سان - ملوك !

- السلم الذى الى اليمين . الطابق الاول المواجهة ... اضبط
على الجرس برقة ، ارجوك .
ثم قالت لميجريه :

- آه لو علمت مقدار ما تتلقاه من زهور ! للدرجة انهم لا يعرفون
اين يضعانها .. لقد اضطروا الى وضع الجزء الاكبر منها فى
حجرات الخدم ... الا تحب أن تدخل ؟ ... جوجو ، ان تدع
اخذك فى حالها ؟ ...

كان المفتش لا يزال ينظر الى الاوعية . محاولا أن يتوصل الى
معرفة ما عسى كان يبحث عنه مارتان وزوجه بداخلها .

- هل تنقلينها فى الصباح ، فوق الطوار ، كما هو متبع ؟

- كلا ! فقد أصبح هذا الامر مستحيلا منذ تزلزلت . أو انه
يلزمنى عندئذ شخص آخر ليساعدنى ، لأنها بالغة الثقل بالنسبة
لى ... ورجال التنظيم ظرفاء وأنا أقدم لهم من آن لآخر قدحا من
الجمعة انهم يأتون حتى الفناء لكى يحملوا الصناديق .

- حتى لا ينقب فيها لمامو الخرق !

- اتعرف ذلك ؟ انهم ايضا يدخلون القنساء ... ولقى بمقتضى
الاحيان يكونون أربعة أو خمسة ، فيوسخون المسكان بطريقة
فظيعة ...

- أشكركم .

وانصرف ميجريه ، حالما ، ثانيا أو مستحقا أن يقوم بزيارة
المكاتب من جديد ، كما عقد العزم على ذلك فى الصباح .

وعندما بلغ رصيف الأرقيفر ، كان فى انتظاره من يقول له :
« طلبك شخص بالتليفون ، عقيد »

ولكنه واصل تفكيره . وما أن فتح باب مكتب المفتشين ، حتى
لقادى قائلا :

— لو كا ! ستذهب الآن فوراً وستقوم باستجواب جميع
الهامى الحرق الذين تعودوا أن يترددوا على ضواحي ميدان الفوج
إذا لزم الأمر ستذهب الى مصنع سان — دينى ، الذى تحرق فيه
القمامة

— ولكن

— يجب أن تعرف ما اذا كان أحدهم قد لاحظ شيئا غريبا فى
الأوعية الخاصة بالمنزل رقم ٦١ ميدان الفوج ، صباح أول أمس
كان قد تداعى فوق الكرسي ومرت بخاطره هذه الكلمة : عقيدة
. أى عقيد ؟ انه لا يعرف منهم أحدا

آه أجل ! ومع ذلك فأحدهم يرد فى القصة ! عم مدام كوشيه !
لماذا يريد منه ؟

— الو ! اليزيه ١٧ — ٦٢ أنا ، ميجريه مفتش مباحث
من الشرطة القضائية . نعم ؟ العقيد دوروموى هو الذى يريد
أن يتحدث الى ! أنا باق على الجهاز ، أيوه الو أهذا
أنت ياسيدى العقيد ماذا جرى ؟ وصية ؟ أنا لا أسمع
رجيدا كلا ، بالعكس اخفض صوتك ابتعد قليلاً عن
الجهاز هذا أفضل ماذا اذن ؟ عثرت على وصية
شريبة وغير معقولة أيضاً مفهوم ! ساكون عندكم بعد
نصف ساعة كلا ! لا داعى لركوب عربة أجرة

وأشعل غليونه وهو يدفع الكرسي ، ووضع ساقاً ثالثة
الأخرى .

(٧)

النساء الثلاث

→ العقيد ينتظر في حجرة سيادته • تفضل واتبعني •
كان نعيش الميث مقفولا • وثمة حركة في الحجرة المجاورة ، التي
تبدو أنها حجرة مدام كوشيه • وراحت الحادمة تدفع أحد الأبواب
فلمح ميجريه العقيد واقفا بالقرب من المنضدة ، وقد وضع عليها
يده خفيفا ، مرفوع الهامة ، وقورا ثابتا كأنه يقف أمام نحات يصنع
له تمثالا •

→ تفضل بالجلوس !

غير أن ميجريه لم يجلس ، واكتفى بفك أزرار معطفه الثقيل •
ووضع قبعته فوق أحد الكراسي ، وشرع يحشو الغليون • • ثم
قال وهو يتطلع حوله باهتمام :

→ هل أنت الذي عثرت على الوصية المذكورة ؟

→ أجل ، صباح اليوم • ان ابنة أخي لا تعلم شيئا بعد •
ويجب أن أقول أن الأمر يدعو للاشمئزاز الشديد • • •

حجرة غريبة على شاكلة كوشيه ، وأثاث على الطراز
الكلاسيكي شأن بقية الحجرات • وثمة بعض التحف القيمة ولكن ،
الى جوار ذلك ، كان الناظر يرى أشياء تنم عن ميول الرجس
الغريبة •

وامام النافذة كانت ثمة منضدة يبدو أنه كان يتخذ منها
مكتبا ، وعليها بعض لفافات التبغ التركية ، ولكن الى جوار ذلك
أيضا نجد مجموعة كاملة من الغليونات الكرزية الواحد منها

بستة دراهم ، سودها كوشيه من فرط الاستعمال • ونجد كذلك
عباءة بيت أرجوانية ! كانت أكثر الموجودات اشراقا ! ثم نجد عند
قاعدة السرير أحذية مثقوبة النعال •
كان بالمنضدة درج •

— أظنك تلاحظ أنها مغلقة بالمفتاح ! ولست أدري حتى ما إذا
كان المفتاح موجودا • لقد حدث صباح اليوم أن احتاجت ابنه أخى
الى بعض المال لتسدد حساب أحد الموردين وأردت أن أجنبها عملية
امضاء صك • فبحثت فى هذه الحجرة • وهذا ما وجدته •••

مظروف يحمل اسم « الجرانند أوتيل » • ورقة خطاب ضاربة
الى الزرقة تحمل نفس العبارة •

ثم أسطر يبدو أنها خطت بلا تركيز ، وكأنها تسويده •
« هذ هي وصيتى ••• »

وبعد ذلك ، هذه الجملة التى لم تكن فى الحسبان :

« نظرا لأننى قد لا أهتم بالاستعلام عن قوانين الارث ، فأننى
أرجو السيد دامبير موثق عقودى ، أن يبذل جهده حتى تقسم ثروتى
بالتساوى ما أمكن بين :

« أولا : زوجتى ، جرمين دوروموى •

ثانيا : زوجتى الأولى وهى اليوم زوجة السيد مارتان ، وقاطنة
بميدان الفوج رقم ٦١ •

ثالثا : نين مونار ، التى تنزل فى فندق بيجال ، شارع
بيجال » •

* * *

— ما ظنك ؟

كان ميجريه مبتهجا • لقد غدا كوشيه فى نظره ، بعد هـذا
الوصية لطيفا للغاية •

وإردف العقيد قائلا :

طبعاً ، هذه الوصية ساقطة ، فهي تحوى كثيراً من أسباب
بطلانها . وبمجرد انتهاء الجنازة ، سننطق فيها . وإذا كنت وجدت
أن من المهم ومن الضروري أن أتحدث إليك الآن ، فذلك لأن ...

كان ميحريه لايزال يبتسم كما لو كان يشهد ملهة . حتى
ورقة « الجرائد أوتيل » هذه ! فكوشيه ، شأن كثيرين من رجال
الأعمال ، الذين لا يملكون مكاتب فى قلب المدينة ، كان يتخذ من
الجرائد أوتيل مكاناً للقاءاته ، وفى انتظار أحد الأشخاص فى
القاعة الفسيحة أو فى حجرة التدخين ، سحب أحد المساند وكتب
تلك السطور .

ولم يغلق المظروف ! وألقى بالجميع داخل درجه ، مرجئاً عملية
تحرير هذه الوصية طبقاً للقواعد الى ما بعد .
ومضى على ذلك خمسة عشر يوماً .
وقال العقيد :

— لابد أنك فوجئت بهذا الأمر الغريب . فقد نسى كوشيه
مجرد ذكر ابنه ! وهذا وحده يعتبر دليلاً كافياً على بطلان
الدعوى و ...

— هل تعرف روجيه ؟

— أنا ؟ كلا ...

وكان ميحريه لايزال يبتسم .

— كنت أقول الآن اننى اذا كنت قد رجوتك للمجيء ، فذلك

لأن ...

— هل تعرف نين مونار ؟

فدعر المسكين كما لو أن أحدا داس قدمه .

— لاداعى لأن أعرفها ! ان عنوانها فقط ، بشوارع بيجال ؟

يعطينى فكرة عن ... ولكن ماذا كنت أقول ؟ ... آه ! أجل ! هل
رايت تاريخ الوصية ؟ انه حديث . فقد مات كوشيه بعد كتابتها
بأسبوعين ... لقد قتل ! ... افترض اذن أن احدى المراتين
المذكورتين كانت قد علمت بهذه الوصية ... اننى أعتقد أنهما
ليستا من الثراء فى شيء ...

• ولم تقول امرأتين •

— ماذا تقصد ؟

— ثلاث نساء ! ان الوصية تذكر ثلاث نساء ! نساء كوشية
الثلاث لو أردت !

واعتقد العقيد أن ميجريه يمزح •

— اننى أتكلم جادا ••• ولا تنس أن فى البيت قتيلا ! وأن
الأمر يتعلق بمستقبل أشخاص عديدين !•••

شيء بدىه ! ولم يحل ذلك دون رغبة ميجريه فى الضحك •
ولم يكن يستطيع هو نفسه أن يستبين السبب •
— أشكرك لأنك أطلعتنى •••

كان العقيد مغموما • فلم يكن يدرك معنى ذلك الموقف الذى
اتخذه موظف خطير كميجريه •

— اننى افترض أن •••

— الى اللقاء ياسيدى العقيد ••• وأرجوك أن تنقل تحياتى
الى مدام كوشيه •••

وفى الشارع ، لم يستطع أن يكتب هذه الدفعة •••

— كوشيه أيها الجليل !

هكذا ، فى جمود ، بغير ضحك ، وضع نساء الثلاث فى
وصيته ! بما فى ذلك زوجته الأولى ، التى أصبحت مدام مارتان •
والتي كانت لا تفقا تقف فى طريقه تصوب نحوه نظرة ازدراء •
وكانها تأنىب حى ! بما فى ذلك نين الصغيرة الرضية ، التى كانت
تبذل وسمها لكى ترفه عنه !

وعلى النقيض من ذلك ، نسي أن له ولدا !

وظل ميجريه لحظة طويلة ، يسائل نفسه عن أول شخص يحمل
له هذا الخبر • أيجمله الى مدام مارتان ، التى قد تكفى الشسوة
لتدفعها من السرير ؟ أم الى نين ؟

— انهما لم تستوليا بعد على النقود •••

أنها قصة من شأنها أن تستمر سنوات ! فقد ترقع دعوى !
وعلى كل ، فإن مدام مارتان قد لا تستسلم .

ولم يحل ذلك دون نزاعة العقيد ! فقد كان في استطاعته أن
يحرق الوصية دون أن يعلم بها أحد .

وراح ميجريه يخترق الحى الأوروبي قى مرح • والشمس
الحمرء تلطف من برودة الجو الذى يسوده نوع من البهجة .

- كوشيه أيها الجليل !

ودخل مصعد فندق بيجال دون أن يسأل شيئا • وبعد لحظات
أكان يطرق باب « نين » • كانت ثمة ضوضاء بالداخل • وانفجر
الباب بمقدار يسمح بمرور يد ظلت ممتدة فى الفضاء .

كانت يد امرأة كستها التجاعيد • ولما لم يتحرك ميجريه •
نفذ صبرها ، فبدأ وجه عجوز انجليزية ، ثم دار حديث غير مفهوم •
أو بالأحرى أدرك ميجريه أن الانجليزية تنتظر بريدها ، وهذا
ماكانت تدل عليه حركتها • والأوضح من ذلك هو أن نين لم تعد
تشغل حجرتها وقد لا تكون فى الفندق كله .

فحدث ميجريه نفسه قائلا :

- الأجر هنا مرتفع جدا بالنسبة لها !

ثم توقف مترددا أمام الباب المجاور ، فحمله أحد الخدم على
اتخاذ قرار ، عندما راح يسأله فى تشكك .

- عم تبحث ؟

- السيد روجيه كوشيه •••

- ألا يرد ؟

- لم أترك الباب بعد •

وابتسم ميجريه مرة أخرى • كان جزلا • لقد شعر قباجة قى
ذلك الصباح أنه يشترك فى أداء مشهد هزل ! ان الحياة كلها كانت
مهزلة ! ومقتل كوشيه كان مهزلة ، وبخاصة وصيته !

- ادخل !

وتحرك المزلاج في الباب • فكان أول ما قام به ميجريه هو أن
أزاح الستائر وفرج النافذة •
لم تكن سيلين قد استيقظت بعد • وكان روجيه يحك عينيه
ويتثائب :

ـ آه ! هذا أنت ...

كان ثمة تقدم • فلم تكن رائحة الاثير تغلب على جو الحجرة •
ووضعت الملابس في أكوام فوق الأرض •

ـ ... ماذا تريد ؟

وجلس فوق السرير ، وتناول كوب ماء كان فوق منضدة
السرير وأفرغه دفعة واحدة •

ـ لقد عثر على الوصية !

أعلنها ميجريه وهو يغطي ساق سيلين العارية ، التي كانت
تبرقد متكورة •

ـ وبعد ؟

لم يظهر روجيه أى انفعال ، اللهم الا فضولا غامضا •

ـ وبعد ؟ انها وصية غريبة ! لسوف يسيل لها مداد كثير •
ولسوف يجنى رجال القانون من ورائها أموالا طائلة •

تصور أن والدك ترك كل ثروته لنسائه الثلاث •

وبذل الشاب مجهودا لكي يستطيع أن يفهم •

ـ نسائه ... ؟

ـ أجل زوجته الشرعية الحالية • ثم والدتك ! وأخيرا عشيقته
« نين » ، التي كانت لاتزال جارتك حتى الأمس ! لقد كلف موثق
عقوده أن يقوم باللازم لكي تحصل كل منهن على نصيب مساو
للاخريين •

لم يحرك ذلك من روجيه ساكنا • كان يبعو عليه التفكير •
ولكنه ليس تفكيراً في أمر يخصه شخصيا •

ـ الأمر واضح •

- قالها روجيه أخيرا ، بلهجة رزينة تتناقض مع الكلمات «
- هذا بالضبط ماقلته للعقيد •
- أى عقيد ؟
- قريب مدام كوشيه ••• انه يقوم الى جانبها بدور سيدة العائلة •••
- يجب أن يسحب بكرة !
- صدقت !
- وراح الشاب يخرج ساقيه من السرير ، ويتناول سروالا ملقى فوق مسند أحد الكراسى •
- لا يبدو أنك تأثرت لهذا الخبر •
- أنا ، أنت تعلم •••
- كان يزور السروال ، وراح يبحث عن الماشطة ، ويوصد النافذة التي كانت تسمح بدخول هواء شديد البرودة •
- ألسنت فى حاجة الى المال ؟
- كان ميجريه قد تحول فجأة الى الجد • وغدت نظراته ثقيلة • فاحصة •
- لست أدري •
- ألا تدري ما اذا كنت فى حاجة الى المال أم لا ؟
- فوجه روجيه الى المفتش نظرة غائمة ، فاحس ميجريه بضيق •
- أنا لا أهتم •••
- يبدو أنك تجنى من المال كثيرا !
- اننى لا أجنى درهما واحدا !
- وتشامب ، وتطلع الى نفسه فى المرأة عابسا • ولاحظ ميجريه أن سيلين كانت قد استيقظت • لم تكن تتحرك ويبدو أنها سمعت شطرا من المحادثة ، لأنها كانت ترقب الرجلين بفضول •
- ومع ذلك فقد كانت هى الأخرى فى حاجة الى كوب المساء •

وكان جو الحجرة ، بقوضاها ، ورائحتها التفتة ، وهذين الكائنين
الحاملين ، أشبه شيء بعصارة مجتمع خائر العزم •

— هل تدخر شيئا من المال ؟

قبدأ روجيه يضيق بهذه المحادثة • وراح يبحث عن مسترته •
وأخرج منها حافظة صغيرة ، وألقاها الى ميجريه •

— فتش !

كان بها ورقتان من فئة المائة فرنك ، وبعض أوراق النقود
الصغيرة ، ورخصة قيادة ، ووصل ملابس من الوبق المقسوى
القديم •

— ماذا تفعل اذا هضم حقل في الميراث ؟

— أنا لا أريد ميراثا •

— ألن تطعن في الوصية ؟

— كلا !

رنت هذه الكلمة بطريقة غريبة • حتى أن ميجريه الذي كان
ينظر الى البساط ، رفع رأسه قائلا :

— هل تكفيك ثلاثمائة وستون ألف فرنك ؟

عندئذ تغير موقف الشاب • فسار ناحية المفتش وتوقف على
بعد خطوة صغيرة منه ، حتى تلامست كتفاهما • ودمدم وهو
يضغط على قبضتيه :

— مرة ثانية !

وهنا راح مسلكه يصطبغ بشيء من السوقية ! وكان موقفه
ينبئ عن الأحياء البلدية ، ومشاجرات الحانات •

— اننى أسألك عما اذا كانت الثلاثمائة والستون ألف فرنك
التي تخص كوشيه •••

واستطاع ميجريه بالكاد أن يوقف ذراع محدثه • والا لكان
ألقى لكمة من أقوى اللكمات في حياته !

— هديء من روعك !

ولكن روجيه كان هادئا ! لم يكن يحاول أن يخلص نفسه !
كان شاحبا • ثابت النظرة • وكان ينتظر أن يتركه المفتش •

الكي يعاود الضرب ؟ أما سيلين ، فكانت قد قفزت من فوق
السريـر ، مع أنها كانت تصف عارية • وكانت تبدو مستعدة لفتح
الباب والاستغاثة •

لقد مر كل شيء في هدوء • ولم يضغط ميجريه على رسفه
الا لثوان معدودات ، وعندما ترك له حرية التحرك ، لم يتحرك
الشباب •

وحلت لحظة طويلة من الصمت ، ظن الناظر أن كلا منهما يتردد
فى قطعها ، كأنهما فى معركة يتردد كل منهما فى أن يكون أول من
يضرب •

وأخيرا تكلم روجيه :

- انك تتدخل فى الأمور أكثر من اللازم !

والتقط من فوق الأرض عباءة بيت بنفسجية ، وألقاها إلى
صاحبه •

- هل تسمح أن أخبرنى عما تنوى عمله ، عندما تنفق المائتين
فرنك ؟

- وماذا فعلت حتى الآن ؟

- ليس هناك الا اختلاف بسيط : والدك قتل ولن تستطيع
أن تطالبه بالمال ...

وهز روجيه كتفيه كمن يريد أن يقول ان محدثه لا يدرك من
الأمر شيئا •

واكتنف المكان جو لا يمكن وصفه • لم يكن جو مأساة بالمعنى
الحقيقى • وإنما كان شيئا آخر يبعث عن التأثير ، ربما كان حوا
بوهيميا بلا شعر ؟ ربما كانت تلك الحافظة وتلك المائتا فرنك ؟ ...

أو تلك المرأة القلقة ، التى تكشف لها حالا أن غدها لن يكون
شبيها بأيامها الحانية - وأن عليها أن تبحث لها عن سند جديد ؟

أو بالأحرى كلا ! انه روجيه نفسه الذى كان يثير الرعب ! لأن
أعماله وحركاته لم تكن تتفق وماضيه ، وتتناقض مع ما يعترفه
ميجريه عن طباعه !

هدهده ... ولم يكن فى ذلك متصنعا ... كان هادئا فعلا .

— اعطنى مسدسك !

قالها المفتش فجأة .

فاخرجه الشاب من جيب فى سرواله ، وقدمه وعلى شفثيه ظل
ابتسامة .

— هل تعدنى بأن ...

لم يكمل ، لانه رأى المرأة على أهبة أن تصرخ فزعا . كانت
لاتدرك شيئا ، غير أنها كانت تشعر أن أمرا فظيحا يجرى .

وبدت السخرية فى عينى ميجريه .

كان الأمر أشبه بالهرب ولم يعد لدى ميجريه مايقوله أو
ما يأتبه . فتقهقر واصطدم عند خروجه باقريز الباب وهو يكتم
سبابه .

وفى الشارع ، كان قد فقد مزاجه المرح الذى كان يتمتع به فى
الصباح . ولم يعد يرى فى الحياة أى مسلك هزلى . ورفع رأسه
لكى يرى نافذة روجيه وصاحبته . كانت مفلقة . فلم ير شيئا .
كان معتل المزاج كما يحدث للمرأة فجأة عندما يعجز عن الفهم .

لقد صدرت عن روجيه نظرتان أو ثلاث نظرات ... لم يستطع
أن يفسرها . لم تكن تلك النظرات التى كان ينتظرها ... كانت
نظرات لا تتفق وبقية ماجرى ... وعاد أعقابه ، فقد نسى أن يسأل
فى الفندق عن عنوان «نين» الجديد . فقال له البواب :

— لا أعلم . لقد دفعت أجر حجرتهما وانصرفت بحقيبتها !
لاداعى لمربة أجره ... فيبدو أنها اختارت فندقا أرخص فى
الحى ...

— من فضلك ... لو ... لو حدث شيء في الفندق ... أجل شيء غير عادي ... فأرجوك أن تخبرني شخصيا ، بالشرطة القضائية ... ميجريه مفتش مباحث .

لقد حقد على هذا الاجراء . فماذا يمكن أن يحدث ؟ ولم يحل ذلك دون أن يفكر في الورقتين فئة المائة فرنك في الحافظة ، ونظرة سيلين الحائفة .

وبعد مضي ربع ساعة ، دخل ملهى « المولان بلو » من باب الفنانين . كانت الصالة فارغة مظلمة ، وكانت المقاعد وحاشيات المقصورات مبطنة بحبر أخضر .

وعلى خشبة المسرح ست نساء يرتعشن من البرد ، على الرغم من معاطفهن ، لا يفتان يكررن نفس الخطوة — خطوة من البساطة بحيث تثير الضحك — بينما رجل بدين انبع صوته ، يصرخ مرردا لحنا موسيقيا .

— واحد ! .. اثنان ! ... ترالا لا لا .. كلا ! .. ترالا لا لا .. ثلاثة ! ثلاثة ! ... ثلاثة ، يا الهى ! ...

كانت نين هي ثانية النساء ... وقد عرفت ميجريه الذى كان واقفا بالقرب من أحد الأعمدة . ورأها هو أيضا . ولكن الأمر كان سيان بالنسبة له .

— واحد ! ... اثنان ! ... ترالا لا لا ...

واستمر ذلك ربع ساعة . وكان الجو أشد برودة منه في الخارج . وكانت قدما ميجريه جامدتين من فرط البرد . وأخيرا جفف الرجل جبينه ، وقذف فرقته بسبة عوضا عن التحية .

وصاح من بعيد مخاطبيا ميجريه :

— أمن أجلى ذلك ؟

— كلا ! ... بل من أجل ...

واقتربت « نين » ضيقة ، تسائل نفسها عما إذا كان من الواجبها أن تصافح المفتش .

لدى خبر مهم ، جئت لأعلنك به •

- ليس هنا ... فنحن لا يحق لنا أن نستقبل أحدا في المسرح
... الا فى المساء • لأن ذلك يستوجب دفع رسوم الدخول ••

وجلسا الى مائدة بار صغير مجاور •

- لقد عثروا على وصية كوشيه ... ترك ثروته كلها لثلاث
امساء ... ونظرت اليه متعجبة دون أن تظن الى الحقيقة •

- زوجته الأولى أولا ، مع أنها تزوجت من جديد ... ثم
زوجته الثانية ... ثم أنت ...

فظلت عينها مثبتتين على ميجريه الذى شاهد حدقتيهما
تتسعان ، ثم مبتلئان بالدموع • وأخيرا أخفت وجهها فى يدها لكى
تبتكى •

المرض

- كان مريضاً بالقلب . وكان يعرف ذلك .
وابتليت « نين » جرعة من خمر مشهى فى لون الباقوت .
- ولذلك كان لا يسرف فى صحته . كان يقول انه قد اشتغل
بمبا فيه الكفاية ، وإن الوقت قد حان لكى يتمتع بالحياة . .
- هل كان يتحدث عن الموت أحيانا ؟
- فى أغلب الأحيان . . . ولكن ليس عن . . عن هذه الميتة ؟
كان يفكر فى المرض الذى أصاب قلبه .
أما اللهى فقد كان أحد تلك البارات الصغيرة التى لا يتردد عليها
الزبائن . وكان صاحبه يتطلع الى ميجريه خلصة كأنه برجوازي
موثر . وأمام الخمار ، كان الحديث يدور حول سباقات المصرة .
- هل كان حزينا ؟
- هذا يصعب شرحه ! لأنه لم يكن رجلا كفسره من الرجال .
فكان يحدث مثلا أن يكون فى المسرح ، أو فى غيره من الأماكن
كان يلهو ، ثم اذا به يقول دونما سبب ، وهو يضحك عالياً :
- ما أقدر الحياة ، هيه ، نينيت . . .
- هل كان يهتم بابنه ؟
- كلا . . .
- هل كان يتحدث عنه ؟
- تقريبا أبدا ! فقط عندما كان ياتيه ليسأله مالا . .
- وماذا كان يقول ؟

- كان يتنهد قائلا : يا له من شقى مسكين ! ..
كان ميّجريه قد أحس بذلك ، فلسبب أو لآخر ، قلما كان
كوشيه يشعر نحو ابنه بعاطفة . بل كان يبدو أنه أصيب من ناحيته
بنفور . بنفور بلغ حدا لم يحاول معه أو ينقذه ! لأنه لم يكن يؤنبه
على الإطلاق ، بل كان يعطيه المال تخلصا منه ، أو شفقة به .

- « جارسون » ! كم الحساب ؟

- اربع فرنكات ونصف !

وخرجت نين معه من الحان ، ولبثا لحظة على طوار شارع
« فونتين » .

- أين تقيمين الآن ؟

- شارع « لوبيك » اول فندق الى اليسار . لم أعرف اسمه
بعد . أنه مناسب ..

- عندما تصبحين ثرية ، سيكون فى استطاعتك ...
فندت عنها ابتسامة ندية ..

- انت تعرف جيدا اننى لن اكون ثرية ما حييت ! فانا لم اخلق
لذلك ..

الغرب من ذلك هو ان ميّجريه كان يشعر نفس الشعور ! لم
تخلق نين لكى تكون غنية فى يوم من الايام ! وهو لا يستطيع أن
يوضح لذلك سببا .

- سأصحبك حتى ميدان بيجال ، وأركب الترام من هناك ..
وسارا الوبنى ، هو ، ضخما ، ثقيلًا ، وهى ضئيلة ، الى
جانب ظهر صاحبها العريض .

- آه لو علمت ما أقاسيه فى وحدتى ! ولحسن الحظ هناك
المسرح ، « بروفنتان » كل يوم ، فى انتظار الاستعراض الجديد ..
كان عليها أن تخطو خطوتين لكل خطوة من ميّجريه ، حتى
انها كانت تجرى تقريبا وعند زاوية شارع بيجال ، توقفت فجأة :
بينما ضيق المفتش ما بين حاجبيه ، وراح يمدم قائلا :

— الضئى ١ —

ومع ذلك فلم يكن الناظر لىستطيع أن يرى شيئا . كان فى مواجهة فندق بيجال جمع من نحو أربعين شخصا . وعند عتبة الباب ، شرطى يحاول أن يساعد الناس على المرور .

كان هذا كل ما فى الأمر ! غير أن المكان كان يكتنفه ذلك الجو الخاص ، ذلك الصمت الذى لا يخيم على الشوارع الا عند وقوع المصائب . فتلجلجت نين وهى تقول :

— ماذا جرى ؟ .. فى الفندق الذى أنزل فيه ا ..

— كلا ! لا شيء ! عودى انت ..

— ولكن ... اذا ..

فقال ميجريه بطريقة آمرة جافة :

— عودى انت !

فاطاعت ، خائفة ، بينما راح المفتش يمهّد لنفسه طريقا بين الجمهور . كان يدخل بينه كالكبش . فراحت بعض النساء يطرّنه بالسباب . وعرفه شرطى المدينة وأدخله فى دهليز الفندق .

وكان مفتش القسم موجودا هناك ، يتحدث الى البواب الذى صاح وهو يشير الى ميجريه :

— ها هو ذا ! .. أننى أعرفه ..

وتصافح رجلا الشرطة .. وكانت ثمة أصوات عويل ، وائيج وطمّة مبهمّة تأتي من حجرة استقبال صغيرة تفضى الى الردهة ، فسأل ميجريه قائلا :

— كيف حدث هذا ؟

— ان الفتاة التى كانت تعيش معه صرحت بأنه كان يقف أمام النافذة ، هادئا للغاية . كانت هى ترتدى ملابسها . اما هو فكان يتطلع اليها وهو يصفر .. ولم يتوقف عن صفره الا لكى يقول لها : ان لها فخذين جميلتين ، لكن ساقها شديدا النحافة ..

قم عاد الى صفيره .. وقبابة لم تعد تسمع شيئاً .. فالتفتها
احساس بالفراغ .. فنظر حيثما كان ، ولكنه لم يكن موجودا ! ..
وكان مستحيلا أن يكون قد خرج من الباب ..

- مفهوم ! ألم يصب احدا عند سقوطه فوق الطوار ؟
- أبدا ! مات مباشرة ! تحطم العمود الفقري في مكانين
مختلفين .

وهنا اتى شرطى المدينة يعلن أمرا :
- هاهم !
وراح مفتش القسم يشرح الأمر لميجريه :

- انها سيارة الاسعاف .. فلم يكن امامنا غير هذا الاجراء ..
هل تعلم أن هناك عائلة يمكن اخبارها ؟ عندما وصلت ، كان
البواب يقول لى أن الشاب تلقى زيلوة فى هذا الصباح .. قام بها
رجل طويل قوى .. وكان يصف لى هذا الرجل فى اللحظة التى
وصلت انت فيها ! فكنت أنت المعنى بالحديث ! هل من الواجب
أن اقوم بكتابة تقرير ، ام انك ستتكفل بكل شيء فى الموضوع ؟

- قم بعمل تقرير !

- وموضوع العائلة ؟

- سأتكفل انا به .

ودفع باب حجرة الاستقبال ، فرأى شيئا معددا على الأرض
ينخفى تماما تحت غطاء احد الأسرة .

وكانت سيلين تجلس خائفة فى احد الكراسى ، تصدر عويلا
منتظما ، بينما سيدة ضخمة ، هى صاحبة الفندق أو مديرتها ،
تفرط فى مواساتها .

- الأمر يختلف عما اذا كان قتل نفسه من أجلك ، اليس كذلك ؟
لم يكن لك فى الموضوع حول ولا قوة .. انك لم ترفض له شيئا
على الاطلاق .

ولم يرفع ميجريه الغطاء ، بل انه لم يظهر لسيلين .

ومضت بضغ لحظات ، اتى المرضون بعدها فحملوا الجثة الى
هربة الاسعاف التى تحركت صوب معهد الطب الشرعى .

عندئذ راح جمهور شارع بيجال يتشتمت رويدا رويدا . وكان
من بقى من الفضوليين لا يدرون ما اذا كان الأمر حقيقيا ، ام انتحارا
ام هو القبض على سارق باطلاق النار عليه .

— كان يصفر .. وفجأة لم أعد أسمع شيئا .

كان ميجريه يصعد سلم ميدان الفوج ، بطيئا ، بطيئا . وكلما
كان يقترب من الطابق الثانى ، كان وجهه يزداد تقطيبا .

كان باب ماتيلد المعجوز منفرجا ، وربما كانت المرأة مترصدة
وراءه . ولكنه هز كتفيه ، وشد الحبل الذى يتدلى أمام باب
آل مارتان .

كان غليونيه بين شفتيه ، وفكر لحظة فى أن يضعه فى جيبه
ثم راح يهز كتفيه ، مرة أخرى ، ثم سمع أصوات زجاجات تصطك
وههممة مبهمه . وصوت رجلين يقتربان ، وأخيرا سمع فتح
الباب .

— أجل ، يادكتور .. أجل ، يادكتور .. شكرا ، يادكتور .

كان السيد مارتان خائوا ، لم يستطع بعد أن يقوم بزيئته ،
ورآه ميجريه على حاله التى تدعو للشفقة ، والتى كان عليها فى
الصباح .

— اهذا أنت ؟

وتوجه الطبيب ناحية السلم ، بينما راح السيد مارتان يدخل
المفتش ، ويلقى نظرة خاطفة فى حجرة النوم .

— هل ساءت حالها ؟

— لاندري .. ان الطبيب لا يريد أن يقرر .. سيعود هذا
المساء ..

وتناول تذكرة طبية من فوق جهاز الاسلكى ، وثبت عليها
مينيه الفارغتين .

- ليس لدى احد لكى يذهب الى الصيدلى !

- ماذا حدث ؟

- تقريبا نفس ماحدث فى تلك الليلة ، ولكن بطريقة أشد .
فقد شرعت ترتعد ، وتهذى بالفاظ لا تفهم .. فأرسلت فى طلب
الطبيب الذى وجد أن حرارتها تبلغ أربعين درجة .

- اهى تهذى ؟

- مادمت اقول لك اننا لا نفهم ما تقول ! . يلزمنا تلج ، وجهاز
كاوتشوك لكى نضع الثلج فوق جبينها .

- هل تحب أن اظل هنا حالما تأتى من عند الصيدلى ؟

وكاد مارتان يرفض .. ثم استسلم للأمر .

وارتدى معطفا ، وانصرف وهو يتحرك بطريقة محزنة ، تشبه
الضحك . ثم عاد اعقابه لانه كان قد نسى أن يأخذ معه نقودا .

لم يكن لميجريه أى غرض من بقاءه فى الشقة . فلم يهتم بشئ
ولم يفتح درجا ، بل لم يحاول أن ينظر الى كومة من الخطابات
كانت موضوعة فوق احدى قطع الاثاث . كان يسمع التنفس غير
المنتظم الذى يصدر عن المريضة ، التى كانت تطلق من آن لآخر
زفرة طويلة ، ثم تهذى بالفاظ مبهمه .

وعندما رجع السيد مارتان ، وجده فى نفس المكان .

- هل احضرت كل مايلزم ؟

- اجل .. شئ فظيع ! والمكتب الذى لم اخطره !

وعاونه ميجريه فى تكسير الثلج وادخاله فى الجيب الكاوتش
الاحمر ..

- ألم تتلق زيارات فى هذا الصباح ؟

- نعم .. نشرات .

كان جبين مدام مارتان يفيض عرقا ، وشعرها الذى خطه
الشيب يلتصق بخديها . وزال لون شفيتها ، أما عينها فقد كانتا

لا تزالان تفيضان حياة بطريقة عجيبة . اثراهما تمرفتا على ميجريه
الذى كان يمسك بالجهاز فوق رأس المريضة ؟ لا تظن . ولكنها
كانت تبدو هادئة بمض الشيء . وكان الكيس الاحمر فوق جبينها
وعلى هذه الحال ، لبثت ثابتة لا تتحرك وهى تتطلع الى السقف .
وسحب المفتش السيد مارتان من يده ودخلا حجرة الطعام .
- عندى انباء كثيرة اريد ان اخبرك بها .

- آه .. !

قالها مارتان برجفة قلق .

- لقد عثر على وصية كوشيه . لقد ترك ثلث ثروته لزوجتك .

- كيف .. ؟

كان اللوظف يضطرب ، مذهولا ، لهذا الخبر .

- تقول انه ترك لنا .. ؟

- ثلث ثروته ! ومن المحتمل الا يتم الموضوع بسهولة . فقد

تعارض زوجته .. لانها من جانبها لن تحصل الا على ثلث الثروة ،
اما الثلث الآخر فسيؤول الى شخص اخر ، هى عشيقه كوشيه
الاخيرة ، امراة تدعى « نين » ..

علام هذا الحزن الذى يبدو على مارتان ؟ انه اكثر من حزن !
انه ذمى ! ان الناظر ليظنه ميتور اللراحمين والساقين ! انه يمعن
النظر فى الارض عاجزا عن السيطرة على نفسه .

- اما الخبر الآخر فهو اقل بهجة . وهو يتعلق بابن زوجتك .

- روجيه ؟

- لقد انتحر هذا الصباح ، بالقاء نفسه من نافذة حجرته
بشارع بيجال ..

هتدئد ، راي المفتش مارتان القصر يشب على عقبيه ، وينظر
اليه غامضا ، ساخطا ، وهو يعوى قائلا :

- ماذا تقول ؟ انك تريد ان تعجننى ، اليس كذلك ؟ اعترف

وان هذا كله انما هى خيلة لىكى تدفعنى الى الكلام !

- لا ترفع صوتك هكذا ! زوجتك .
 - الأمر عند سيان ! .. اترك تكذب ! .. هذا مستحيل ..
 وأصبح من الصعب أن يتعرف الناظر على السيد مارتان .
 لقد فقد حيائه تماما مرة واحدة ، وقدد معه تلك التربية المهذبة
 التي طالما تعلق بها .
 وكان مما بشير فضول الناظر أن يتطلع الى وجهه المفكك ،
 وشفتيه اللتين ترتعدان ، ويديه اللتين تضطربان في الفضاء .
 فأكد له ميجريه قائلا :
 - أقسم لك أن هذين الخبرين رسميان ..
 - ولكن لماذا يفعل ذلك ؟ . انه لامرؤ يؤدي الى الجنون ! . ومع
 ذلك فان ما يحدث الآن فيه الكفاية ! . فزوجتي في طريقها الى
 الجنون ! . لقد رأيتها أنت ! . واذا استمرت هذه الحال ، فسأجن
 أنا أيضا .. سنصبح كلنا مجانين ! .
 واكتنفت نظراته حركة سقيمة . كان قد فقد كل سيطرة على
 نفسه .
 - ابنها الذي يلقي بنفسه من النافذة ! . والوصية ! .
 كانت كل ملامح وجهه متقلصة ، وفجأة ، حلت أزمة من
 الدموع ، حزينة ، مضحكة ، بغيضة .
 - أرجوك ! . هدىء من روعك .
 - حياة بأسرها .. اثنان وثلاثون عاما .. كل يوم .. الساعة
 التاسعة .. دون أدنى تأنيب .. كل ذلك لكى ...
 - أرجوك ، تذكر أن زوجتك تسمعك ، وانها مريضة جدا ..
 - وأنا ؟ . هل تعتقد اننى لست مريضا ، أنا ؟ . هل تعتقد
 اننى سأتحمل مثل هذه الحياة طويلا ؟ .
 لم يكن رأسه ليتحمل البكاء ، وهذا مكان يجعل الدموع
 تائرا .
 - انت لا دخل لك في الموضوع ، اليس كذلك ؟ وهو لا يمدو
 ابن زوجتك . . وانت لست مسئولا .

ويطلع مارتان الى المفتش ، وقد هدا فجأة ، ولكن هذا لم
يدم طويلا .

— أنا لست مستولا . .

ثم استشاط غضبا .

— ولكن هذا لا يمنع كونى هدفا لكل المضايقات ! فها هنا
ثانى انت فتقص الحكايات ! وعلى السلم ، ينظر الى السكان
شدرا . . واؤكد انهم يظنون اننى قتلت كوشيه هذا ! . اكيدا ! .
وفوق ذلك ، فماذا يثبت لى انك لا ترتاب فى انت ايضا ؟ فماذا
جئت تفعل هنا ؟ . ها ! . ها ! . انك لا تجيب ! . فانت لا تجرؤ
على الاجابة . . يختارون الأضعف ! . رجلا عاجزا عن الدفاع عن
نفسه ! . وزوجتى مريضة . . و . . .

وبينا هو يشير بيديه ، اذا بمرقعه يصطدم بجهاز اللاسلكى
الذى راح يتمايل ، ويهوى على الأرض ، فيتحطم مصدرا فرقة
أشبه بفرقة المصابيح الكهربائية التى تتحطم . عندئذ عاد الموظف
الصغير الى الظهور :

— مركز يدر ألفا ومائتين من الفركتات . . ظلت فى انتظاره
ثلاث سنوات قبل أن أحصل عليه .

ووصلت أنة من الحجرة المجاورة ، فأرھف السمع ، ولكنه
لم يتحرك .

— الا تحتاج زوجتك الى شيء ؟

كان ميجريه هو الذى ينظر فى الحجرة ، وكانت مدام مارتان
لائزال راقدة ، فتلقى المفتش نظرتهما لكنه كان عاجزا عن تحديدها
أهى نظرة ذكاء حاد ، أم نظرة قلقة بتأثير الحمى .
لم تحاول أن تتكلم . وتركته ينصرف .

وفى حجرة الطعام ، أسند مارتان مرققيه الى خزانة صغيرة
وتناول رأسه بين يديه وراح يمعن النظر فى القرش ، على بعد
مستيمترات من وجهه .

- لماذا ينتحر ؟

- افترض مثلا انه هو الذى

وحل الصمت ، ثم سمع صوت ازيز ، وفاحت رائحة «شباط»

نفاذة . ثم يتنبه لها مارتان . فسأل ميجريه قائلا :

- هل هناك شيء على النار ؟

ودخل المطبخ الذى كان أزرق من البخار ، فوجد على موقد النار سطلا من لبن سال مافيه ، واصبح يهدد بالانفجار . فأغلق صنبور الجهاز ، وفتح النافذة فرأى فناء العمارة ، ومعمل أمصال الدكتور رفبير ، وعربة الدكتور واقفة أسفل السلم ، واستطاع أن يسمع تكتكة الآلات الكاتبة ، داخل المكاتب .

وإذا كان ميجريه يتلصقا فى المطبخ ، فلم يكن ذلك بلا داع .
لقد أراد أن يدع لمارتان فسحة من الوقت يهدأ فيها ، ويستعيد ثباته ، فراح يحشو غليونه فى بطة ، ويشعله من مصباح معلق فوق الموقد . وعندما عاد الى حجرة الطعام ، لم يكن مارتان قد تحرك من مكانه ، ولكنه كان قد هدأ . فانتصب متنهدا وبحث عن منديل ، ولم يخط بصوت مرتفع .

- يبدو أن ذلك سينتهى نهاية سيئة ، اليس كذلك ؟

فاجاب ميجريه :

- هناك قتيلان ... !

- قتيلان ..

انه لمجهود . مجهود ضخم ، ذلك الذى بذله مارتان ليظل مسيطرا على اعصابه بعد أن كان على وشك الانفعال من جديد .

- فى هذه الحالة أعتقد أنه يستحسن ..

- انه يستحسن ؟ ..

كان المفتش لا يكاد يتكلم . كان يحبس أنفاسه . كان يحس بضيق يطبق على صدره ، لأنه كان يشعر أنه قريب من الحقيقة .
- أجل - دمدم بها مارتان لنفسه - ليكن ! . فلا مفر ..
لا مفر ..

ومع ذلك فقد سار بطريقة آلية حتى البساط المفتوح ، ناب
بحجرة النوم ، وغطس نظره فى الحجرة .
وظل ميجريه ينتظر ، ثابتا ، صامتا .

لم يقل مارتان شيئا ، ولم يسمع صوت زوجته ، ولم يمنع
لذلك أن شيئا ما كان يبدو أنه يجرى .

واستمر الحال طويلا ، فبدأ المفتش يفقد صبره .
- وبعد ؟

فتحول الرجل ناحيته ، فى بطنه ، بوجه جديد .
- ماذا ؟

- كنت تقول أن ...

- فحاول مارتان أن يتنسم .

- أن ماذا ؟

- أنه يستحسن ، لتجنب مآس جديدة .

- أنه يستحسن ماذا ؟ ...

ومر بيده فوق جبينه ، كشخص يجد صعوبة فى الذاكرة
لأكرياته .

- أنا آسف ! اننى مضطرب ..

- لدرجة أنك نسيت ماكنت تريد أن تقوله ؟

- أجل .. لم أعد أدرى .. أنظر ! .. انها نائمة ..

كان يشير الى مدام مارتان التى أغلقت عينيهما ، وغدا وجهها
أحمر قانيا ، ربما بسبب وضع الثلج فوق جبينها .

- ما الذى تعرفه ؟

وجه اليه ميجريه هذا السؤال بلهجة من يخاطب شخصا
مشبوها على قدر كبير من الحذق .

- أنا ؟

وبعد هذا الاستفسار أصبحت كل الاجابات من هذا النوع !
الذى نطلق عليه « استمباطا » .

« كنت على وشك أن أخبرني بالحقيقة »

— الحقيقة ؟

« هيا ! لا تحاول أن تبدو عبيطاً . أنت تعرف قاتل كوشيه »

— أنا ؟ أنا أعرف ؟ ..

إذا كان مارتان لم يتلق في حياته صدمة واحدة ، فقد كان
أقرب قوسين أو أدنى من صدمة ساخنة يتلقاها من يد ميجريه ،
أما ميجريه فكان يضغط على فكيه وينظر الى المرأة الساكنة
التي كانت نائمة أو كانت تنظاهر بالنوم ، ثم الى الرجل الذي
لا يزال جفناه منتفخين ، وملامحه مشدودة بتأثير الأزمة السابقة
وشاربه مدلى .

— هل تتحمل مسئولية مايمكن أن يحدث ؟

— ماذا يمكن أن يحدث ؟

— أنك مخطيء ياسيد مارتان !

— مخطيء لماذا ؟

ماذا حدث ؟ ان الرجل الذي كان على أهبة الكلام ، ظل
دقيقة بين الحجرتين ، وعيناه مثبتتان على سرير زوجته ، ولم
يسمع ميجريه شيئاً ، ولم يتحرك مارتان . والآن ، هاهى ذى تنام !
وهو يتظاهر بالبراءة !

— اننى اعتذر لك .. اعتقد اننى أفقد صوابى فى بعض
الاحيان .. وانت لا تنكر ان الامر يبعث على الجنون ..

ولم يمنع ذلك انه ظل حزينا ، بل مغموما . كانت تبدو عليه
هيئة شخص محكوم عليه . وكانت نظراته تحاول أن تتجنب وجه
ميجريه ، وتنقل بين الأشياء العادية ، وأخيراً تعلقنا بجهاز
اللاسلكى . فشرع يلتقط أجزاءه ، وقد انحنى على الأرض مولياً
بظهوره للمفتش :

— متى سيعود الطبيب ؟

- لا أدري .. لقد قال « هذا المساء » ..

فخرج ميجريه تاركاً الباب يصطك خلفه ، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام ماتيلد المعجوز التي فزعت لذلك حتى أنها لبثت ساكنة وقد فزعت فهاها .

- اليس لديك ماتقولينه لى ، انت ؟ هيه ؟ هل ستدعين ايضا انك لاتعلمين شيئاً ؟ ..

وحاولت أن تستعيد ثباتها ، فأدخلت يديها تحت منزرها « فى حركة آلية لربة بيت عجوز .

- تعالى ندخل عندك ..

فسارت تزحلق نعلى اللباد فوق الأرض ، وترددت فى دفع بابها المنفرج .

- هيا ! ادخلى ..

ودخل ميجريه بدوره ، وأعاد اغلاق الباب بضربة من قدمه « ولم يوجه نظرة واحدة الى اللجنونة التى كانت تجلس أمام النافذة ..

- والان تكلمى ! .. مفهوم ؟ ..

وتدأى بكل ثقله فوق أحد الكراسى »

صاحب المعاش

أولا ، انهما يقضيان حياتهما فى عراقك !

لم يتحرك لجبريه ساكن . لقد غاص حتى رقبته فى كل هذه
القدارة اليومية ، التى تبعث على الاشمئزاز أكثر من المأساة
نفسها .

وامامه المعجوز ، يبدو عليها تعبير مخيف عن الابتهاج والتهديد .
كانت تتكلم وتنوى أن تتكلم ثانية ! عن بغض لال مارتان ، وللقنيل
واسكان البيت جميعا ، وعن بغض للانسانية جمعاء ! وعن بغض
للجبريه نفسه ! .

كانت لاتزال واقفة ، وبداها مضمومتان فوق بطنها الضخم
الطرى ، ويظن الناظر انها ظلت حياتها فى انتظار هذه اللحظة .
لم يكن مايطفو على شفيتها ابتسامة . وانما هو الاغتياب الذى
كان يديها !

- « أولا » انهما يقضيان حياتهما فى عراقك .

كان لديها وقت . كانت تقطر جملاها تقطيرا . وكانت تعطى نفسها
مسحة من الوقت لكى تعبر عن ازدرائها للناس الذين يتعاركون .
- ولا حتى مثل لامى الخرق ! وهذا الوضع يرجع الى فترة
طويلة ! حتى اتنى تسماءت كيف لم يقتلها حتى الآن .
- أه : هل كنت تتوقعين أن ! . .

— عندما يعيش المرء فى منزل كهذا ، فيجب أن يشوق كل
شيء ..

كانت تنبهة الى نفحات صوتها . فهل كانت ابعث على البفض
من السخريه ، ام ابعث على السخريه من البفض ؟
كانت الحجرة فسيحة . وكان بها سرير منكوش ، عليه ملاءات
ومادية يبدو انها لم تتعرض للهواء الطلق أبدا . ومنضدة ، ومراة
قديمة ، وموقد ..

وفى كرسي-موسد ، تجلس المجنونة ، التى كانت تنظر امامها
وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة رقيقة ..

وسأل ميجريه :

— لامواخذة ! . هل تتلقين زيارات فى بعض الاحيان ؟

— لا ! ..

— واخذك الا تخرج من هذه الحجرة ؟

— أحيانا ، تفر الى السلم ..

رائحة تبعث على القنوط . رائحة فقر قذر ، رائحة هرم
وربما رائحة موت .

— لاحظ ان الزوجة هى التى تهاجم دائما !

كان ميجريه يملك من القوة ما يكفى توجيه السؤال اليها . كان
ينظر بغموض . كان ينصت لها ..

— من اجل مسائل تتعلق بالمال ، طبعاً . وليس من اجل مسائل
تتعلق بها كامراة .. مع انها ذات مرة ، وهى تقوم بحساباتها ؟
افتكرت انه ذهب الى منزل خصوصى ، فتلون وجهه مائة
لون ..

— هل تضربه ؟

كان ميجريه يتحدث بلا سخريه . لم يكن اقتراضه هذا اكثر
هزما من غيره . كان يستع فى بحر من الامايجيب حتى ان اى شيء
لم يكن ليثير البهجة ..

- لا اعرف ما اذا كانت تضربه ام لا ، ولكن ، على كل ، فهو
تكسر الاطباق .. ثم تبكى ، قائلة انها لن تستطيع ان تحصل على
بيت مناسب ..

- باختصار ، هل يحدث فى كل يوم فضائح من هذا
القبيل ؟

- ليست فضائح كبيرة ! وانما بعض التوبيخ والتأنيب . وفى
الاسبوع فضيحتان او ثلاث فضائح كبيرة .

- وهذا يعطيك فرصة للعمل !

لم تكن واثقة انها فهمت ونظرت اليه بقليل من القلق .

- ماهى التانيبات التى توجهها اليه فى اغلب الاحيان ؟

- عندما لا يملك المرء ما يعول به امرأة ، فانه لا يتزوج !

- لا يصح لرجل ان يخدع امرأة فيجعلها تعتقد انه سيثرى ..
بينما الحقيقة غير ذلك .

- ان المرء لا يسمح لنفسه بالاستحواذ على امرأة من رجل مثل
كوشيه ، قادر على كسب الملايين ..

- ان الموظفين جبناء .. فيجب ان يعمل المرء بنفسه ، وان يكون
محبا للمخاطرة ، والمبادرة ، اذا اراد ان يحصل على شيء ..

مسكين مارتان ، بقفازه ، وممطفه ، وشايريه المشمعين
بالدهان .

واستطاع ميجره ان يتخيل كل الجمل التى كانت تلقى بها
زوجته فوق راسه ، مطرا دقيقا ، او سيلافزيرا .

ومع ذلك ، فقد قام بما يستطيع ان يقوم به : ومن قبله ، كان
كوشيه هو الذى يتلقى هذا التأييب والتوبيخ . لابد انها كانت
تقول له :

« انظر الى السيد مارتان ! انه لرجل ذكى ! وهو يفكر انه ربما
يتزوج ، فى يوم من الايام ولسوف تتسلم زوجته معاشا لو حدث
له شيء ! بينما انت .. »

كان هذا كله يبدو في صورة تهمة جسيمة : لقد خدعت مدام
مارتان نفسها ، وخدعها الغير ، وخدعت الناس جميعا !

كان هناك خطأ مروع هو أساس كل شيء !

فقد كانت ابنة حلواني « سان مور » تريد المال ! هذا امر قد
تقرر ! وكان هذا الامر يمثل ضرورة ! وكانت هي تشعر بذلك ! لقد
ولدت لكي تحصل على المال ، ونتيجة لذلك ، فقد كان على زوجها
أن يجنى المال

اكان كوشيه لايجنى مالا كافيا ؟ ولن يكون لها معافى لو مات ؟
لقد تزوجت من مارتان ! هذا كل مافى الامر !

كل ملائكتك ان كوشيه هو الذى اثرى باللايين ، بعد فوات
الآوان ! . ولم يكن من الممكن تركيب اجنحة لمارتان ، ولم يكن من
الممكن دفعه الى ان يترك مكتب التسجيل وان يعمل هو الآخر في
بيع الامصال او أى شيء بدر الربح !

كانت شقية ! كانت دائما شقية ! وكانت الحياة تلهو بخداعها
بطريقة شنيعة !

كانت عينا العجوز الخضراوان الضاربتان الى الزرقاء ، مثبتتين
على ميجريه ، كانتا كعيني قريص البحر .

— وهل كان يأتي ابنها لزيارتها ؟

— أحيانا .

— وهل كانت تلومه وتؤنبه هو الآخر ؟

ولا يغيب عنا أن العجوز ظلت تنتظر هذه اللحظة سنين
وسنوات ! . لم تكن بها عجلة ! . كان امامها فسحة من الوقت ! .
— كانت تقدم له النصيحة . .

« أبوك غنى ! وكان عليه ان يخجل لانه لم يدبر لك مركزا مرموقا !
انك حتى لا تملك سيارة . . فهل تعرف من السبب ؟ انها تلك المرأة
التي تزوجته من أجل ماله ! . لانها لم تتزوج الا من أجل ذلك ! .
« مع غض النظر عن ان الله وحده يعلم ما بعد لك في المستقبل . .
فهل تظن انك ستحصل على شيء من الثروة التي تخصك ؟ . . »

« لذلك فيجب عليك الآن أن تستحوذ على المال ، وإن تدخره
إلى مكان أمين .. »

« سأحفظه لك ، أنا ، لو أردت .. ها ! . هل تحب أن أحفظه
لك ؟ .. »

وكان ميجريه ، وهو يتطلع إلى الأرض القلدة .. يفكر :
ورأسه في ثورة ..

كان يعتقد أنه توصل ، في هذا الخيط من الاحساسات ، إلى
إحساس سائد ، ربما ولد بقية الاحساسات الأخرى : أنه القلق !
قلق وويل ، يبعث على السقم ، ويقترب من الجنون ..

كانت مدام مارتان تحدث كثيرا عما يمكن أن يقع : موت الزوج ،
والشقاء الذي ستلقاه إذا لم يترك لها معاشا .. وكانت تستشقي
على ابنها من هذا الشقاء ..

كان الأمر أشبه بكابوس مخيف ، أو بفكرة ملكت عليها دنياها .
- وبم كان يجيبها روجيه ؟

- كان لا يلبث طويلا ! . كان يبدو أن لديه أعمالا أهم في
الخارج ..

- وهل حضر يوم الجريمة ؟

- لست أدري ..

ومن ركنها ، كانت المجنونة ، وهي في مثل هرم ماتيلد ، لانزال
بتطلع إلى المفتش وهي تبسم ابتسامة جدابة .

- وهل دار بين مارتان وزوجته في ذلك اليوم نقاش أكثر أهمية
من المعتاد ؟

- هل نزلت مدام مارتان في حوالي الثامنة مساء ؟

- لم أمد الأكر ! . أنني لا أستطيع أن اظل طوال الوقت في
المرور ..

هل كان ذلك عدم إدراك ، هل كان سخرية فائقة ؟ . علي كل ؟
لقد كانت تحتفظ بشيء لم تصرح به . وكان ميجريه يشعر بذلك ..
أين الصديد كله لم يخرج تماما ! ..

- فى المساء ؟ تعاركا . .

- لماذا ؟

- لست أدري . .

- ألم تسميهما ؟

لم تجب . وكان تعبير وجهها يقول :

- هذا شيء يخصنى !

- وماذا تعرفين أيضا ؟

- أعرف لماذا مرضت ؟

وكان هذا هو الفوز ! . كانت يداها ترتجفان ، ولا تزالان
مضطربتين فوق بطنها .

كان هذا غاية طريق بأسره .

- لماذا ؟

كان هذا السؤال يتطلب تلذذا .

- لأن . . انتظر حالا أسأل اختى عما إذا كانت فى حاجة الى

أى شيء . . « فانى » الست ظمأى . . جوعى ؟ . اليس ساخنا
جدا ؟ . .

كان موقف الزهر أحمر تماما ، فراحت المجوز تسعى فى الحجرة
وهى تراق على نعليها المصنوعين من اللباد ، واللذين لا يصدران
أية ضوضاء .

- لأن ؟

- لأنه لم يحضر النقود !

لقد تهجت هذه الجملة والتمتها بصمت نهائى . انتهى كل شيء
لقد اعرضت عن الكلام ! لقد قالت ما فيه الكفاية .

- أية نقود ؟

مجهود ضائع فاتها لن تجيب على أى سؤال .

- هذا شيء لا يخصنى ! . لقد سمعت هذا ! . ولتفعل أنت به

ما تريد . . والآن حان الوقت لكى أعتنى باختى . .

وانصرف ؟ تاركا وراءه العجوزين منصرقتين الى امور لا يعلمها
الا الله .

لقد اعتل لذلك .. وتقلب قلبه ، كما لو كان اصابه دوان
البحر .

« لم يحضر النقود .. »

الا يمكن تفسير ذلك ؟ لقد قرر مارتان ان يسرق الزوج الاول
وبما لكيلا يلام على وضاعته .. ورائه هي من النافذة .. وخرج
هو بثلاثمائة وستين ورقة .. ولكنه عندما هاد ، نظم تكن النقود
معه ! فهل وضعها في مكان امين ؟ أم سرق هو بدورها ؟ أم تملكه
الخوف فتخلص من هذه النقود بالقائها في نهر « السين » ؟ وهل
قام بالقتل ؟ هو ، السيد مارتان الضئيل ، ذو المعطف المطاط ؟

لقد اراد ان يتكلم منذ برهة . وكان الارهاق الذي يشعر به
هو ارهاق شخص جان لم يعد يجد في نفسه القوة لكي يلزم الصمت ،
ويفضل السجن فورا عن قلق الانتظار .

ولكن لماذا كانت زوجته هي التي مرضت ؟

وبالخاص لماذا كان روجيه هو الذي انتحر ؟

ثم ، اليس خيا ميجريه هو الذي صور كل هذا ؟ لماذا لا يرتاح
في « نين » ، أو في مدام كوشيه ، أو حتى في العقيد ؟

وبينما كان المفتش ينزل السلم ، اصطدم بالسيد سان - مارك
الذي كان عائدا من الخارج .

- آه ! هذا انت ..

ومد له يدا مجاملة .

- ائمة جديد ؟ .. هل تستفيد ان الموضوع سينتهي ؟ ..

ومن فوق ، سمعت صرخة المجنونة ، التي لا بد ان تكون اختها
قد تركتها لكي تذهب فتتخذ مخفرا خلف احد الابواب ؟

كانت جنازة رائعة . اشترك فيها كثير من علية القوم . وبخاصة عائلة مدام كوشيه وجيران شارع الهوسمان .

لم يكن يشد عن المجموع الا اخت كوشيه ، التي كانت تسيير في الصف الاول ، مع أنها عملت المستحيل لكي تبدو أنيقة . كانت تبكي . وكان لها بوجه خاص طريقة مزعجة في التبخط ، كانت تستجلب لها في كل مرة نظرة ساخطة من حماة القتل . وخلف العائلة مباشرة ، كان موظفو معامل الأمصال .

وكانت مابلند المعجوز تسيير مع الموظفين في كبرياء ، واثقة من نفسها ومن حقها في الحضور . وكان ثوبها الأسود لا يصلح الا لذلك : « . . تشييع الجنازات ! وتلاقت نظرتها مع نظرة ميجرية . فتنازلت واومات له ايماءة خفيفة .

كانت تندفق أصوات الأرافن وصوت المرتل الجهير ، وصوت الشمساس الحاد : « ولاندخلنا في تجربة . . » وسمعت ضوضاء كراسي تتحرك . وكان النعش عاليا ، ومع ذلك فقد كان يختفى تحت الزهور والأكاليل .

« سكان المنزل رقم ١٠ ميدان الفوج » .

ويبدو أن مابلند دفعت حصتها في الأكليل . كهل سجل آل مارتان اسمهما في قائمة المساهمين ، هما أيضا ؟ لم ير أحد مدام مارتان . فقد كانت لاتزال في سريرها .

« خلصنا ، يارب . . » وحان موعد صلاة الجنازة . النهاية . فتقدم رئيس التشريفات الذي كان يقود الركب في بظمه . وفي أحد الأركان ، بالقرب من كرسي اعتراف ، لمح ميجرية « نين » وكان أنفها أحمر قائما دون أن تكلف نفسها مشقة معالجته بليرة من المستحق ؟ فقالت :

— شيء تقطيع ، اليس كذلك ؟

— ماهو التقطيع ؟

- كل شيء ! أنت أدري ! هذه الموسيقى .. ورائحة الأفجوان
هذه ..

كانت تمض شفتها السفلى لكى تحبس ذكراة ..
وكمما تعلم .. لقد فكرت طويلا .. ايه حسن ! ويحدث ان
اقول لنفسى ان قلبه كان يحدثه ..

- هل ستذهبن الى القبر ؟
- ما زاياك ؟ من الممكن ان يرونى هناك ؟ .. قد يكون من الأفضل
الا اذهب . ومع ذلك فأننى احب ان اعرف المكان الذى سيودمونه
فيه .

- يكفى ان تسالى الحارس ..

- اجل ..

كانا يتهاامسان . كانت خطوات آخر الحاضرين تخف فى الجهة
الأخرى من الباب . وشرعت بعض العربات فى المسير ..
- كنت تقولين ان قلبه كان يحدثه ؟

- ربما ليس لانه سيموت بهذه الطريقة .. ولكنه كان يدرك
انه لن يعمر طويلا .. فقد كان مصابا بمرض خطير فى القلب .
كان الناظر يشعر انها فى قلق شديد ، وان عقلاها ظل ساعات
وساعات لا يدور الا حول موضوع واحد .
- كلمات كان يقولها وتمر الآن بخاطرى ..

- هل كان خائفا ؟

- لا ! بالعكس . فعندما كان يتصادف ان نتحدث عن القبر ؟
فكان يقول ضاحكا :

« - انه المكان الوحيد الذى يظلمن فيه الإنسان .. مكان صغير
جميل بجوار الأب لاشيز .. »

- هل كان يمزح كثيرا ؟

- وخاصة عندما لا يكون مبتهجا .. هل فهم ؟ .. كان لا يصعب

أن يلاحظ الناس أنه مهموم . عندئذ ، كان يبحث عن أى سبب لئى يتحرك ، لئى يضحك .»

— عندما كان يتحدث من زوجته الأولى ، مثلاً :

— أنه لم يحدثنى عنها مطلقاً !

— ولا عن الأخرى ؟

— لا . . . كان لا يتحدث عن شخص بالذات . كان يتحدث عن الناس عامة . . . كان يرى أنهم حيوانات صغيرة مضحكة . . . وإذا حدث أن سلبه عامل المطعم شيئاً ، فإنه ينظر إليه بعين أكثر عطفاً من الآخرين . . . ويقول :

— نذل ! .»

« وكان ينطق بهذه الكلمة وهو يلهو مسروراً ! »

كان الجو بارداً . طقس « توسان » . ولم يكن لدى ميجريه ونين ما يفعلانه فى حى سان — فيليب — دى رول هذا .»

— الى اللقاء فى المولان بلو ، هه ؟

— ليكن !

— سامر بك ذات مساء . . .

وشد ميجريه على يدها ، ثم قفز فى إحدى سيارات الأوتوبيس . كان فى حاجة للخلو الى نفسه ، والتفكير ، او بالأحرى كان فى حاجة لأن يترك لعقله الحبل على الغارب . وراح يتخيل الموكب الذى لن يلبث أن يبلغ المقابر . . . ومدام كوشيه . . . والعقيد . . . والأخ . . . والأشخاص الذين يمكن أن يناقشوا الوصية الغريبة .»

— ماذا كانا يحوكان حول صناديق القمامة ؟

فهنا تكمن عقدة الأساس . . . لقد حام مارتان حول صناديق القمامة بحجة البحث عن قفاز لم يجده ، ومع ذلك كان يرتديه صباح اليوم التالى . وفتشت مدام مارتان فى القاذورات ، هى الأخرى ! مدعية البحث عن ملقعة من الفضة القيت عفواً .»

— . . . « لأنه لم يعد بالنقود . . . »

هكذا قالت مايلد العجوز .

فعلا فى هذه اللحظة سيكون الأمر مسلما فى ميدان الفسوج !
والمنجونة التى تركت وحيدة ، ألا تعوى كماداتها ؟

وكان الاتوبيس كامل العدد ، يحرق المحطات . وسمع راكبا ،
كان قريبا من ميجريه وهو يقول لصاحبه :

- هل قرأت قصة الأوراق المالية فئة الالف الفرنك ؟

- لا ! . ما هذه الحكاية ؟

- تمنيت لو كنت هناك .. عند جسر بوجيفال .. صباح أول
أيس .. أوراق مالية فئة الالف الفرنك تتمخطر مع التيار .. كان
أول من رآها ملاح ، وقد استطاع أن يلتقط بعضها .. ولكن عامل
الهاويس لاحظ الأمر .. فاستدعى الشرطة .. حتى أن أحد رجال
الشرطة كان يرقب صيادى النقود .

- صحيح ؟ . ولم بمنعم ذلك من الاستيلاء على بعضها ..

- وقالت الصحيفة اليومية أنهم عثروا على نحو ثلاثين ورقة ،
لكنه لا بد أن هناك أوراقا أخرى كثيرة ، لأنهم استطاعوا فى «نانت»
أيضا أن يلتقطوا ورقتين .. هيه ! الأوراق المالية التى تتمخطر على
طول جرى السين ! .. أنها أعظم من السمك البورى ..

ولم يتحرك لميجريه ساكن .. كان له رأس زيادة عن الناس .
وكان وجهه هادئا .

- .. «لأنه لم يعد بالنقود ..»

أذن ، هذا هو بيت القصيد ؟ ترى هل استولى الخوف على
مارتان أو ابنه ضميره للذكرى جريمته ؟ مارتان الذى صرح بأنه كان
بتنزه فى ذلك المساء فى جزيرة سان - لوى ليطرد الآلهة العصبية .

ومع ذلك فقد نذت عن ميجريه ابتسامه ، لأنه تخيل مدام مارتان
التى ات كل شيء من نافلتها وألتي كانت تنتظره .

ثم عاد زوجها ، متعبا ، خائرا . كانت تتابع أفعاله وحركاته ،

وكانت تنتظر أن ترى الأوراق المالية ، وربما كانت تنتظر أن
تُعدها ..

وخلع ملابسه وتهيأ للنوم .

البيست هي التي تناولت ملابسه وراحت تنقب في جيوبها ؟

وبدأ القلق .. كانت تتطلع إلى مارتان بإشاريه الحزينين .

- آل .. آل .. النقود ؟

- أي نقود ؟ ..

- لمن أعطيتها ؟ . رد ! . لا تحاول أن تكذب ..

وغادر مجريه الأتوبيس عند « البون نوف » ومن هناك استطاع
أن يلمح نوافذ مكتبه . وفي أثناء ذلك فوجيء بنفسه يقول بصوت
خافت :

- تؤكد أن مارتان ، ما أن رفسد في سريره ، حتى شرع في
البكاء ! ..

اوراق تحقيق الشخصية

بدأ هذا فى « جومون » . كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء
وكان بعض مسافرى الدرجة الثالثة يتوجهون ناحية مكاتب الجمرک
بينما شرع الموظفون فى تفتيش عربات الدرجة الاولى والثانية .

ولمة نفر من المسافرين المدققين يعدون حقائبهم مقدما ، فيعرضون
امتهم فوق المقعد الصغير . وكان هذا ما فعله رجل قلق العينين
من الدرجة الثانية ، كان يجلس فى عربة لم يكن بها سواه ، الأزوجان
بلجيكيان متقدمان فى السن .

كانت أمتعة هذا الرجل تمثل نموذجا للنظام والحيلة .
فالقمصان ، تلافيا للاتساخ ، كانت ملفوفة فى جرائد يومية . وكان
هناك اثنا عشر زوجا من الأكمام ، وسراويل ثقيلة ، وأخرى صيفية ،
ومنبه ، وأحذية وخفان قديمان .

وكان المرء يشعر بيد امرأة ، وراء هذا الترتيب . فلم يكن
هناك موضع لم يستغل . ولم يكن هناك شئ يمكن أن يتجمد أو
ينثنى . وقلب أحد موظفى الجمرک فى هذه الأشياء باهمال ، وهو
يرقب الرجل الذى يرتدى المعطف المطاط والذى يملك مثل هذه
الامتعة .

— شكرا !

وخط على الامتعة صليباً بالطباشير .

— اى طلب ، انتما الآخران ؟

تسال الرجل قائلا :

- لا مؤاخذه ! . أين تبدأ بلجيكا بالضبط ؟

- هل ترى أول سياج هناك ؟ كلا ! انك لا ترى شيئا ! ولكن
انظر .. عد المصاييح .. والثالث الى اليسار .. هو الحد الفاصل ..

كان هناك صوت فى الدهليز ، يكرر امام كل باب :

- اعدوا جوازات السفر ، والبطاقات الشخصية !

وبدل رجل المعطف المطاط مجهودا كبيرا ليميد وضع حقائبه

فى الشبكة .

- جوازك ؟

فالتفت فرأى رجلا يضع على راسه قبعة رمادية .

- فرنسى ؟ . بطاقتك الشخصية .

واستغرق ذلك عدة لحظات . كانت اصابع المسافر تنقب

بخلالها فى الحافظة .

- ها هو ذا يا سيدى !

- عظيم ! مارتان ادجار اميل .. عظيم ! . اتبعنى ..

- الى أين ؟

- يمكنك أن تحمل حقائبك ..

- ولكن .. القطار ..

وهنا راح البلجيكيان ينظران اليه بفزع ، مضطرين رغما عن
ذلك ، فقد صجبا فى سفرهما أحد المزورين .. وراح مارتان ،
وقد اتسعت حدقتاه ، يرتقى المقعد ليتناول حقائبه .

- اقسم لك .. ما الذى ؟ ...

- أسرع .. فسيرحل القطار ..

وراح الشاب ذو القبعة الرمادية يدرج أثقل حقيبة على
وصيف المحطة . كان الظلام شاملا . وعلى ضوء هالات المصاييح ،
كان بعض الأشخاص يهرولون ، عائدين من المقصف . ودوى صوت
الصفارة .. وكانت هناك سيدة تتحدث مع بعض موظفى الجمرك
الذين كانوا لا يسمحون لها بالرحيل .

— منرى ذلك صباح غد .

وكان السيد مارتان يتبع الشاب وهو يحمل حقائبه بصعوبة .
انه لم يتصور فى حياته رصيفا بهذا الطول . كان حقا ميدان
سباق لا ينتهى ، خاليا ، محاطا بأبواب سرية .
واخيرا ، دفع الباب الاخير :
— ادخل ! .

كان ظلما دامسا . لم يكن ثمة غير مصباح فى مشكاة خضراء ،
معلق فوق الانضدة ، وكان من الانخفاض بحيث لم يكن يضيء الا
بعض الاوراق . ومع ذلك فقد كان فى أقصى الحجرة شئ ما
يتحرك . ثم سمع هذا الصوت الودود :

— صباح الخير يا سيد مارتان ! .

ثم برز فى الظلمة شبخ ضخم : انه المفتش ميجريه متدثرا فى
معطفه الثقيل ذى الباقة القطيفة ، ويداه ، فى جيبه .

— لا داعى للمضايقة . سناخذ من جديد قطار باريس الذى
سيصل بعد قليل على الخط الثالث . .

فى هذه المرة كان الامر اكيدا ! . كان مارتان يبكى ، فى صمت ،
ويداه ثابتتان بسبب الحقائب التى احسن ترتيبها .

كان المفتش ، الذى كان يتولى مراقبة المنزل رقم ٦١ ، بميدان
الفوج ، قد اتصل بميجريه تليفونيا ، قبل ذلك بعدة ساعات .

— صاحبنا فى طريقه للهرب . . لقد ركب سيارة اجرة وانجه
بها الى محطة الشمال . .

— دعه يهرب . . واستمر فى مراقبة المرأة . .

واخذ ميجريه نفس القطار الذى ركب مارتان . ونزل فى
الدبوان المجاور ، مع اثنين من ضباط الصف ، ظلا طوال الطريق
يقصصان المفامرات الفرامية .

ومن آن لآخر كان المفتش يلصق عينه بالفتحة التى تفصل بين
الدبوانين فيلمح مارتان حينئذ .

وقى « جومون » كانتات البطاقة الشخصية ! . والدخول
فى مكتب المفتش المختص .

والآن هما ذان يعودان الى باريس ، فى ديوان خاص . كانت
يدا مارتان خاليتين من القيود . وكانت حقائبه فى الشبكة فوق
رأسه ، وكانت احدهما غير محكمة الوضع ، فكانت تهدد بالسقوط
فوقه .

وحتى « مويوج » لم يكن ميجريه قد وجه سؤالاً واحداً .
كان امرا يختلط له العقل ! . كان قابعا فى أحد الاركان ،
وغليونه بين أسنانه .

وكان لا يكف عن التدخين وهو يرقب صاحبه بعينيه الصغيرتين
اللاهيتين .

عشر مرات ، بل عشرون مرة ، فتح مارتان فمه دون أن يقر
الكلام ، وعشر مرات بل عشرون مرة ، لم يتنبه له المفتش .
ومع ذلك فقد حدث هذا أخيراً : صوت لا يمكن وصعه ، وفد
لاستطيع مدام مارتان نفسها أن تتعرف عليه .
— أنا الذى ...

وكان ميجريه لا يزال معرضاً عن الكلام ، كانت حدقتاه
تقولان :

— صحيح ؟ ..

— كنت .. كنت آمل أن اجتاز الحدود ..

هناك طريقة للتدخين بنقبض لها من ينظر الى الشخص الذى
يدخن : ففى كل نفخة تفرج الشفتان فى تلذذ .. ولا يندفع
الدخان الى الامام ، ولكنه يتبدد فى بقاء ، مكوناً سحابة حول
المدخن .

كان ميجريه يدخن بهذه الطريقة ورأسه يتمايل ذات اليمين
وذاات الشمال نيماً لحركات العربة .

ومال مارتان ، ويداه البائستان فى القفاز ، وعيماء نعيمضان
بالحمى .

- هل تعتقد أن هذا سيستغرق طويلا ؟ كلا ، ليس كذلك !
مادمت ساعترف .. لأننى ساعترف بكل شيء ..

ماذا كان يفعل حتى لا يبكى ؟ لابد أن أعصابه كانت تذبذبه الما
جروا . ومن آن لآخر كانت عيناه يسودان متوسلتين ، تقولان
اليجريه بكل وضوح :

- ساعدنى اذن .. انك ترى أن الإرهاق قد بلغ منى مآربه ..
ولكن المفتش كان لا يتحرك .. وكان ، بهدوئه ، ونظريته
الفضولية التى تخلو من كل عاطفة ، كأنه يقف فى حديقة
للحيوانات ، أمام أقفس بداخله حيوان غريب ..

- لقد فاجانى كوشيه .. عندئذ ..
وتنهذ ميجريه ، تنهيدة لا تريد أن تعبر عن شيء ، أو بالأحرى
يمكن أن تفسر بمائة طريقة مختلفة ..

« سان - كاتنان » ! وسمعت خطوات اقترام فى الممر ،
وحاول مسافر ضخم أن يفتح باب الديوان ، فلاحظ انه مغلق ،
أقبلت لحظة ينظر الى الداخل ، وانفه ملتصق بالزجاج ، وأخيرا
اقرر أن يبحث عن مكان آخر ..

- مادمت ساعترف بكل شيء ، أليس كذلك ؟ لادامى للانكار !
تماما كما لو كان يتحدث الى شخص أصم ، أو الى شخص
لا يفقه حرفا واحدا من الفرنسية ، كان ميجريه يحشو غليونه ،
ويدس فيه التبغ بسببته بطريقة دقيقة !
- هل معك ثقاب ؟

- لا ! أنا لا أدخن ، كما تعرف ، أن زوجتى هى التى لا تحب
رائحة التبغ ، أحب ان ينتهى الأمر بسرعة ، هل تفهم ؟ سأقول
ذلك للمحامى الذى سأختاره ، لادامى للتعقيدات ! ساعترف بكل
الشيء . لقد قرأت فى الصحيفة اليومية أنهم عثروا على جزء من
الأوراق المالية ، اننى لا أعرف لماذا فعلت ذلك ، فعندما كنت
أشعر بها فى جيبى ، كان بلوح لى أن كل من فى الطريق ينظرون
الى .. ففكرت أولا أن أخفيها فى مكان ما .. ولكن لماذا أفعل
ذلك ؟ ..

« سرت بحذاء الرصيف .. كانت هناك بعض الزوارق .. »
فخشيت ان يرانى أحد البحارين .
« عندئذ عبرت جسر مارى . وفى جزيرة « سان - لوى »
استطعت أن اتخلص من الحزمة ... »
كان الديوان ساخنا للغاية ، كان البخار يسيل فوق الزجاج
وكان دخان الفليون يتمدد حول المصباح .
« كان يجب أن اعترف لك بكل شيء فى المرة الاولى التى
رايتك فيها .. لم تكن لدى الشجاعة .. وكنت آمل أن ... »
وصمت مارتان ، وتطلع بفضول الى صاحبه الذى كان قد
ففر فاه وأغمض عينيه ، وراح يتنفس بصوت رتيب اشبه بمواء
قط كبير مفتبط .

كان ميجريه نائما !
والقى الآخر نظرة على الباب ، الذى يكفى أن يدفعه ، وكما
لو كان أراد أن يهرب من الغواية ، انزوى فى احد الأركان وهو
يضم فخذه ، ويداه الجزعتان فوق ركبتيه النحيفتين .
محطة الشمال . صباح يوم رمادى . وسكان الضاحية
الذين استيقظوا متأخرين ، يعبرون الأبواب فى جماعة .
كان القطار قد توقف بعيدا عن بهو المحطة . كانت الحقائق
ثقيلة . وكان مارتان لا يريد أن يتوقف . كان منهك القوى وكانت
يداه تؤلمانه .

واضطرا للانتظار طويلا حتى تمر احدى سيارات الأجرة .
- هل أنت ذاهب بى الى السجن ؟
لقد امضيا خمس ساعات فى القطار لم ينطق ميجريه خلالها
عشر جمل . بل ادهى من ذلك ! فقد كانت جملا لا علاقة لها
بالجريمة ، ولا بالثمائية وستين ألف فرنك ! . كان يتحدث عن
قليونه ، و عن حرارة الجو ، أو عن موعد الوصول .

- ٦١ ميدان الفوج !
قالها ميجريه للسائق .

فقال مارتان متوسلا ؟

— اتعتقد أنه من الضروري أن ..

ثم ، قال لنفسه ..

« ماذا سيظنون في الكتب ؟ . لم يكن لدى وقت لإبلاغهم » ..

كانت الحارسة في مسكنها ، تفرز البريد : كومة كبيرة من
الخطابات لمعامل أمصال الدكتور ريفيير ، وكومة صغيرة لبقية
سكان المنزل .

— سيدى مارتان ! . سييدى مارتان ! . لقد حضر بعضهم من
مكتب التسجيل ليسأل عما اذا كنت مريضا .. فيبدو أن مملك
مفتاح الـ ...

كان ميجريه يسحب صاحبه الذى اضطر الى جر حقائبه
الثقيلة على السلم حيث كانت توجد أمام الابواب بعض آنية بها
لبن وخبز طازج .

وتحرك باب «ماتيلد» العجوز ..

— اعطنى المفتاح ..

— ولكن ...

— افتح انت بنفسك ..

وحل صمت عميق ، قطعته سرير لسان القفل ، ثم بدت
بحجرة الطعام منظمة ، وكل شيء فى مكانه بالضبط .
وتردد مارتان طويلا قبل أن ينطق بصوت خافت يقول :
— هذا أنا ! .. والمفتش ...

وتحرك شخص فى السرير الموجود فى الحجرة المجاورة . وما
أن أغلق مارتان الباب ، حتى تأوه قائلا :

— ما كان يجب علينا أن ... انها ليس لها دخل فى ذلك «
اليس كذلك ؟ ... وفى حالتها هذه ...

كان لا يجرؤ على دخول الحجرة . راح يلتقط الحقائق ويضعها
فوق كرسيين لكى يحافظ على اتزانها .
هل تحب أن أصنع قهوة ؟

وطرق مبيجريه باب حجرة النوم •

— .. ممكن ادخل ؟

ولم يتلق ردا ، فدفع الباب ، فتلقى في صميم وجهه نظرة ثابتة
من عيني مدام مارتان التي كانت راقدة ، بلا حراك ، وشعرها في
« الفرشينات » •

— آسف زعاجك ... لقد أعدت اليك زوجك •

كان مارتان ماثلا خلفه • كان يحس به ، ولكنه لا يستطيع أن
يراه •

وسمع وقع أقدام في الفناء ، وأصواتا ، وبخاصة اصوات
نساء : انهم موظفو المكاتب والمعامل الذين كانوا يصلون • كانت
الساعة تشير الى التاسعة الا دقيقة •

وعن قرب ، سمعت صرخة مكتومة للمجنونة • وعلى منضدة
السرير ، كان ثمة بعض الادوية •
— هل ستأت حالك ؟

كان يدرك تماما انها لن تجيب ، وانها ستتشبث على الرغم من
كل شيء بتحفظها الشرس • كان يبدو أنها تخشى أن تنطق بكلمة ،
بكلمة واحدة ! وكان الكلمة الواحدة يمكن أن تجلب المصائب !

كانت قد هزلت • وغدا لونها أكثر شحوبا • غير أن عينيها ..
هاتين المحدثتين الرماديتين ، كانتا تحتفظان بحياتهما الخاصة ،
المتوهجة ، العنيدة •

ودخل مارتان ، بساقيين خائرتين • وكانت هيئته كلها تدل على
أنه يعتذر ، ويطلب المغفرة •

وراحت العينان الرماديتان تتحولان ناحيته في ببطء ، جامدتين ،
قاسيتين ، حتى أنه أشاح بوجهه وهو يقول متلعثما :

— في عطلة « جومون » ... دقيقة واحدة وكنت سأبلغ
بلجيكا ...

كان لابد من كلمات ، وجمل ، وضوءاء لشغل كل هذا الفراغ
الذي كان يبدو أنه يحيط بكل شخصية • فراغ كان ملموسا لدرجة
أن الأصوات كانت ترجع الصدى ، وكأننا تحت نفق أو في مغارة •

ولكنهم كانوا لا يتكلمون . كانوا فقط يتشدقون ببعض المقاطع
بعمى قلق ، ثم يخيم الصمت كما يطبق الضباب .

ومع ذلك فقد كان هناك شيء ما يجري ، شيء بطيء ، خفى ؟
يد تزحف تحت الفطاء ، وترتفع فى حركة غير ملموسة حتى تبلغ
الوسادة .

كانت هذه يد مدام مارتان ، التحيلة ، المبلة . وكان ميجريه
وهو ينظر الى مكان آخر ، يتابع تقدم اليد ، وينتظر اللحظة التى
تصل فيها الى غايتها .

— أئن يأتى الطبيب هذا المساء ؟

— لست أدرى . . وهل هناك من يهتم بى ؟ . اننى هنا كحيوان
يتروكه للموت . . ولكن العين غدت أكثر بريقا لأن اليد لست أخيرا
ما كانت تبغى .

وسمع حفيف ورقة لا يكاد يبلغ الأذان .

وتقدم ميجريه خطوة ، وأمسك مدام مارتان من معصمها . .
كانت تبدو بلا قوة ، وربما بلا حياة . ولم يمنع ذلك أنها بين لحظة
وأخرى كانت تبرهن عن قوة خارقة . .

كانت لا تريد أن تترك ما بيدها . وكانت تدافع بفيظ ، وهى
جالسة فوق السرير . وراحت تقرب يدها من قمها . وتمزقا
بأسنانها الورقة البيضاء التى كانت تضغط عليها .

— دعنى ! . دعنى والا صرخت ! . وانت ؟ . اتركه يفعل
ذلك ؟ .

— سيدى المفتش . . اتوسل اليك . .

ثأوه بها مارتان .

كان يصفى . . فقد كان يخشى أن يأتى السكان مهرولين . .
ولم يكن يجزؤ على التدخل .

— أيها الوحش ! . أيها الوحش القدر ! . تضرب امرأة ؟ .

كلا ! . لم يكن ميجريه يضربها . كان مكتفيا بأمساك يدها ،
وربما مع ضغط على راسها بشيء من القوة ، لكى يمنعا من إبادة
الورقة .

— ألا تخجل ! . تضرب امرأة تحتضر . .
امرأة كانت تبذل مجهودا فلما صادف مثله ميجريه خلال فترة
تخدمته كضابط ! . وسقطت قبعته على السرير . لقد عضت المفتش
في راسه فجأة .

ولكنها لم تستطع أن تستمر مشدودة الأعصاب طويلا ، ونجح
ميجريه في إبعاد أصابعها ، بينما راحت هي تطلق انه ألم .
والآن ها هي ذى تبكى ، تبكى دون أن تبكى ، أتبكي سخطا ،
أو غيظا ، أو ربما لكى تتخذ موقفا ؟ .
— وانت ، تتركه يفعل ذلك . .

كان ظهر ميجريه عريضا جدا بالنسبة للحجرة الضيقة . كان
يلوح أنه يملأ الفراغ كله ، ويحجب الضوء .
واقترب من المدفأة ، ونشر الورقة التي زالت أجزاء من
أطرافها ، وقرأ نصا مكتوبا بالآلة الكاتبة ، تعلوه هذه العبارة :

« لافال وبيوليه

من محامى باريس

مستشاران

مكتب قضائى »

والى اليمين ، باللون الأحمر ، كانت هذه العبارة : « قضية
كوشيه ومارتان . استشارة بتاريخ ١٨ نوفمبر » .
صفحتان مقتضبتان ، مع مسافات بين الأسطر . لم يقرأ
ميجريه منها الا أجزاء ، بصوت خافت ، وكانت أصوات الآلات
الكاتبة تاتى من مكاتب أمصال ريفيير .
« بعد الاطلاع على القانون . . .

ونظرا لان انتحار زوجيه كوشيه كان لاحقا لمقتل أبيه . .
. . وأن وصية لا يمكن أن تهضم ابنا شرعيا نصيبه الذى
هو من حقه . .

. . وان الزواج الثانى لصاحب الوصية من السيد «دورموى»
قد تم فى عهد روكية الأموال . .
. . وان الوارث الطبيعى لزوجيه كوشيه هو والدته . .

.. تشرف بأن تؤكد لكم أن من حقم المطالبة بنصف الثروة
التي تركها أوسكار كوشيه من منقولات وعقارات .. وأنه ، طبقا
لمعلوماتنا الشخصية ، فنحن نرى ، ما عدا الخطأ ، أن المصنع
المعروف باسم الدكتور « رفير » ، يقدر بحوالى خمسة ملايين ،
وكان قبلا يقدر بثلاثة ملايين ..

...
« .. ونحن فى خدمتكم للقيام بجميع الاجراءات اللازمة لابطال
الوصية .. »

...
تؤكد لكم اننا نحتفظ لانفسنا بالحق فى عمالة تقدر بمشرة
فى المائة (١٠ ٪) من المبالغ المستردة وذلك كمصاريف لـ .. »

كانت مدام مارتان قد كفت عن البكاء ، وكانت قد عادت الى
رقادها ، وراحت نظرتها الجامدة تتطلع الى السقف من جديد .
كان مارتان يقف فى اطار الباب وهو اشد ما يكون حيرة ،
لا يدري ماذا يصنع بيديه ، وعينه ، وجسده جميعا .
ودمدم ميجريه لنفسه قائلا :
- هناك حاشية ! .

وكانت هذه الحاشية مسبوقه بهذه العبارة : « سرى للغاية »
« نحن نعتقد أن مدام كوشيه ، من عائلة دورموى » ، مستعدة ،
هى الأخرى ، للتظمن فى الوصية .
ومن جهة أخرى ، قمنا بالاستعلام عن المستفيدة الثالثة ،
وهى نين مونار .
انها امرأة متشككة ، ولم تتخذ بعد أى اجراء للمطالبة
بحقوقها .

ونظرا لانها الآن بلا مورد ، فقد بدأ لنا أن أجدى طريقة هى
أن نعرض عليها أى مبلغ على سبيل التعويض .
ونحن من جانبنا تقدر هذا المبلغ بعشرين ألف فرنك ، وهو
مبلغ من شأنه أن يغرى شخصا فى مثل حالة نين مونار .

ونحن فى انتظار قراركم بشأن هذا الموضوع .. » .
كان ميجريه قد ترك غليونه ينطقى . ثم طوى الورقة ببطء ،
ودسها فى حافظته . ومن حوله كان يخيم صوت مطبق . وساءت
حال مارتان حتى أنه حبس أنفاسه . وكانت زوجته ، على السرير ،
ينظرهما الثابتة ، تبدو كالآيئة .

ودمدم ميجريه يقول :
— مليونان وخمسمائة ألف فرنك .. مع خصم مبلغ الخمسة
والعشرين ألف فرنك التى ستأخذها نين لكى تتساهل .. صحيح
أن مدام كوشيه ستدفع نصفه ..
كان متأكدا أن ابتسامة ظفر غائمة ، ولكن بليغة ، ترسم على
شفة المرأة .

— ياله من مبلغ ! . يا مارتان ..
فانتفض مارتان ، وحاول أن يتخذ موقفا دفاعيا .
— كم ستأخذ فى ظنك ؟ . أنا لا اتحدث عن المال .. وإنما
أتحدث عن الحكم .. سرقة . وقتل . وربما ثبت سبق الإصرار ..
ما رأيك ؟ . لا أمل فى البراءة بكل تأكيد ، مادام الموضوع لا يتعلق
بجريمة عاطفية .. آه ! . فقط لو كانت امرأتك قد أقامت علاقات
مع زوجها القديم .. ولكن الأمر يختلف . أنه موضوع مال ، ولا شيء
لغير المال .. عشر سنوات ؟ . عشرين سنة ؟ . هل تريد رأى ؟ .
لاحظ أننا لا نستطيع أبدا أن نخمن قرار القضاة الشعبيين ..
وهذا لا يمنع من وجود سوابق .. إبه عظيم ! . أننا بوجه عام
يمكن أن نقول أنهم إذا كانوا يتسامحون فى مآسى الغرام ، فانهم
قساة للغاية فى هذه القضايا القائمة على المنفعة ..

كان المرء يظن أنه يتكلم لكى يتكلم ، لكى يكسب وقتنا .
— شيء مفهوم ! . فهم برجوازيون ، تجار .. يعتقدون أنه ليس
هناك ما يمكن أن يخشوه على عشيقات لا يملكونهن أو وانقون منهن .
ولكنهم يخشون اللصوص كثيرا ! . عشرين سنة ؟ . إبه حسن ! .
كلا ! . اننى أميل الى الشق .

لم يعد مارتان يتحرك . وبمقارنة بيته وبين زوجته ، كان هو الآن أكثر دكانة .

— ولكن مدام مارتان ستصبح ثرية .. انها فى السن التى تعرف فيها كيف تتمتع بالحياة وبالثروة ..
واقترب من النافذة .

— ان لم تكن هذه النافذة ... انها حجر العشرة ... فلن يلبثوا ان يلاحظوا أن المرء من هنا يستطيع ان يرى كل شيء .. كل شيء . هل تسمعى ؟ .. وهذا خطر ! .. لأن ذلك قد يثير فكرة الاشتراك فى الجريمة .. عندئذ ، يوجد فى القسانون نص صغير يمنع القاتل ، حتى ولو كان مبرا ، من وراثة الضحية .. ليس فقط القاتل .. وانما شركاؤه أيضا .. انك ترى أهمية وجود هذه النافذة . لم يعد الصمت هو ما يحيط به . كان شيئا آخر أكثر اطباقا ، وأكثر اقلاقا ، يكاد يكون غير حقيقى : انعدام تأمل لى ائس للحياة .

وفجأة وجه سؤالا :

— قل لى يا مارتان ، ماذا صنعت بالمسدس ؟

وسمعت فى المر انتفاضة حياة : كانت « ملابلد » العجوز طبعاً بوجهها القمرى ، وبطنها الطرى ، تحت المزودى المربعات ..

واتى صوت الحارسة الحاد من الفناء يقول :

— مدام مارتان ! .. هذا دوقايل !

وجلس ميجريه فى كرسي اهتز تحته ، ولكنه لم يتحطم قلى الحال ..

الرسم المنقوش على الحائط

- أجب! .. ماذا فعلت بالمسدس؟

وتابع نظرة مارتان ، ووجد أن زوجته التى كانت تصوب نظرها الى السقف ، تحرك اصابعها على الحائط .

كان مارتان المسكين يبذل مجهودا خارقا لكى يفهم ما كانت تريد ان تقول له . كان متلهفا . فقد كان ميجريه ينتظر الاجابة .

- لقد ..

ماذا يعنى هذا المربع ، او هذا المنحرف الذى تخططه باصبعها النحيل؟

- ماذا؟

وهنا اشفق عليه ميجريه حقا . لاشك أن اللحظة كانت مفرقة .
لقد كان مارتان يختلج من الجزع .

- القيته فى « السين » ..

قضى الامر ! وبينما كان المفتش يخرج المسدس من جيبه ، ويضعه فوق المنضدة ، كانت مدام مارتان تنتصب فوق السرير ، بوجه يقطر حنقا . فقال ميجريه :

- لقد بحثت حتى عثرت عليه فى صندوق القمامة ...

ثم خرج صوت المرأة المحمومة كالفحيح يقول :

- آه : .. هل فهمت الآن ؟ .. مبسوط ؟ ... لقد
أضعت الفرصة ، مرة أخرى ، كما هى عادتك دائما ! .. ولقد
فعلت ذلك خصيصا ، خوفا من دخول السجن ... ولكنك ستدخله

ورقما عن ذلك ! .. لأن السرقة ، أنت التى ارتكبتها ! .. الثلاثمائة
والستون ألف ورقة التى القاهها الأستاذ فى نهر السين ...

كانت مربعة . وكان الناظر يدرك أنها كانت قد تمالك نفسها
أكثر من اللازم .. كان اندفاعها عنيفا . وكان هياجها من الهوس
بحيث أن كلمات عديدة كانت تمثل أحيانا على شفيتها فى نفس
اللحظة ، وكانت تخلط بين الالفاظ ..

كان مارتان مطرقا برأسه . لقد انتهى دوره . وكما وبخته
زوجته فقد اخفق بطريقة تبعث على الرثاء .

- ... لقد قرر الأستاذ أن يسرق ، ولكنه تسي قفازه فوق
المكتب ... ان مظالم مدام مارتان كلها راحت تنهال ، دونما
تنظيم .

وسمع ميجريه خلفه صوت الرجل الدليل صاحب المعطف
المطاط يقول :

- منذ شهر وهى تشير لى الى المكتب من النافذة ، والى
كوشيه الذى اعتاد الذهاب الى الاحواض ...

... وكانت تلومنى لأننى أنقص عليها حياتها ، ولا أستطيع أن
أعول امرأة ... فذهبت ...

- هل أخبرتها بأنك ذاهب ؟

- لا : . ولكنها كانت تعلم .. فقد كان تنظر من النافذة ..

- ومن بعيد ، رأيت القفاز الذى نسيه زوجك ، يا مدام
مارتان ؟

- وكأنه يترك بطاقة زيارة ، علما بأنه كان يريد أن يفيظنى ...

- فأخذت مسدسك وذهبت الى هناك ... ورجع كوشيه ،
بيئما أنت لا تزالين فى المكتب ... فاعتقد أنك أنت السارقة ...

- وأراد أن يقبض على ، أجل ! هذا هو ما أراد أن يفعله :
وكانه لم يصبح غنيا بفضلى أنا ! ... فمن الذى كان يقوم على
خدمته : فى البداية ، عندما كان لا يجنى من المال ما يقيم أوده من
خبز بلا زبد ؟ ... والرجال جميعا متشابهون ! ... لقد بلغ

به الأمر الى حد لومى على السكّنى قى المنسّول الذى توجد به مكاتبه ... وانهمنى بمقاسمة ابنى للمال الذى كان يعطيه اياه ...
- واطلقت الرصاص ؟

- كان قد رفع سماعة التليفون ليستدعى الشرطة ؟
- وتوجهت ناحية صناديق القمامة . وبحجة البحث عن ملعقة
هضغيرة دبست المسدس وسط القاذورات ... من الذى قابلته
عندئذ ؟ ...

فقالت وكأنها تبصق ؟
- المعجوز الابله ، ساكن الطابق الاول ...
- ولا احد غيره ؟ اعتقد ان ابنك اتى ... فلم يكن لديه نقود ...
- وبعد ذلك ؟ ...

- لم يكن قد اتى من اجلك انت ، وانما من اجل ابيه ، اليس
كذلك ؟ كل ما هناك انك لم تستطعى ان تركيه يذهب حتى المكتب ،
حيث كان من الممكن ان يكتشف الجثة ... كنتما فى الغناء انما
معا .. فماذا قلت لزوجيه ؟

- ان ينصرف ... انك لا تستطيع ان تفهم قلب الام ...
- فانصرف ... وعاد زوجك ... ولم يحاول احكما سؤال
الآخر ، مضبوط ...

كان مارتان يفكر فى الاوراق المالية التى انتهى به الامر الى
القائها فى « السين » لانه فى الواقع رجل طيب مسكين .
- رجل طيب مسكين ! كررتها مدام مارتان بحنى غير منتظر .
ها ! ها ! وانا ؟ ... انا التى طالما شقيت ...

- ولم يعرف مارتان من الذى قام بالقتل ... ونام ... ومضى
يوم دون ان يتحدثا عن شيء .. ولكنك فى الليلة التالية ، نهضت
الى تفتشى الملابس التى خلصها ... وبحثت عن الاوراق دون
جدوى ... وكان هو ينظر اليك ، فسأله ... وهنا تكمن ازمة
الحنى التى سمعتها « ماتيلد » المعجوز من وراء الباب .. قد
اقتلت بلا فائدة ؟ .. فقد القى مارتان الابله بالنقود ! .. بشروء فى

« السنين » ، افتقارا الى الشجاعة !... ومرضت بسبب ذلك...
فقد أصابتك الحمى ... وذهب مارتان نفسه ، الذي كان يجهل
أنك القتالة ، ليعلم روجيه بالخبر ...

وفهم روجيه ... فقد رآك فى الغناء ... ومنعته أنت من
التقدم ... انه يعرفك ... واعتقد أننى أرتاب فيه ... وتصور
أننا سنلقى القبض عليه ، ونوجه اليه التهمة ... وهو لا يستطيع
أن يدافع عن نفسه دون أن يتهم أمه ...

وهو قد لا يكون شابا لطيفا ... ولكننا قد نجد فى الحياة
التي كان يعيشها بعض العذر .. لقد أصابه القرف .. القرف من
النساء اللاتي كان ينام لديهن ، ومن العقاقير ، ومن « مونمارتر »
حيث كان يذهب ، وفوق ذلك كله ، القرف من مأساة العائلة التي
كان يدرك وحده ما يمكن أن تؤدي اليه ...
فألقى بنفسه من النافذة !.

كان مارتان قد استند الى الحائط ، ووجهه بين يديه المشنيتين ،
ولكن امراته كانت تنظر الى المفتش بامعان ، وكأنها لا تنتظر إلا
اللحظة التي تتدخل عندها فى سرد الأحداث وتهاجم بدورها .

وعندئذ عرض ميجريه الاستشارة التي حررها المحاميان .
- وفى زيارتي الأخيرة ، كان الخوف يسيطر على مارتان حتى
انه كان سيعترف بسرقة ... ولكنك كنت موجودة .. وكان يلحقك
من فرجة الباب .. كنت توجهين اليه اشارات قوية فلزم الصمت ..
- اليس ذلك ما فتع عينيه أخيرا ؟ لقد سألك .. فأجبت
بأنك قتلت .

وصرخت بها فى وجهه ! قتلت من أجله ، من أجل تدارك
نسيانه ، من أجل ذلك القفاز الذي تركه فوق المكتب ! .. ولأنك
قتلت ، فانك لن ترثي شبيثا على الرغم من الوصية ! .. أه !
لو كان مارتان رجلا ..

- فليرحل الى الخارج .. وسيؤمنون بأدائته .. تم بهذا
الشرطة ، وبعد ذلك تلحقين به مع الملايين ..
- ورحل مارتان المسكين ! ..

وكاد ميجريه يحطم الرجل الطيب بضربة هائلة فوق كتفه •
كان يتكلم بصوت لا رنين له • كانت كلماته تتساقط دونها
الحاح منه •

- ما أكثر ما حدث من أجل هذه النقود ! •• قتل كوشيه ••
وانتحرار روجيه بالقاء نفسه من النافذة •• وفي آخر دقيقة ندرك
أننا لن نحصل عليها ! ••

وقضيت أن تعدى مرتفلك حقائب مارتان •• حقائب مربية
توتيبا حسنا •• ملابس لعدة شهور ••

- أسكت !

قالها مارتان متوسلا •

وصرخت المجنونة • ففتح ميجريه الباب على حين فجأة ، نكادت
مابلد المعجوز تنكفيء على وجهها •

ففرت هاربة ، فزعة من صوت المفتش ، ولأول مرة راحت تغلق
بابها حقا وتدير المفتاح في المتراس •

والقى ميجريه بنظرة أخيرة على الحجر • كان مارتان لا يجرؤ
على الحركة • وزوجته فوق السرير ، هزيلة ، وقد برزت عظام
كتفيا تحت قميص النوم ، تتابع بعينيها رجل الشرطة •

كانت رزيئة ، ساكنة حتى ليتساءل الناظر اليها بعين قلقة
عما تعد •

وتذكر ميجريه بعض النظرات في أثناء الإشهد السابق ، وبعض
حركات الشفاء • واستحضر ما جرى ، في نفس الوقت الذي فعل
فيه مارتان ذلك •

لم يكن في استطاعتهما التدخل • فقد حدث هذا خارجا عن
ارادتهما ، كحلم مزعج •

كانت مدام مارتان هزيلة ، هزيلة • وغلت ملامحها أبعد على
الحزن عن ذي قبل •

ترى ما الذي تنظلم اليه ، في أماكن ليس بها الا الأشياء المألوفة
في الحجر ؟

ما هذا الذي تتابعه باهتمام في الحجر ؟

كان جبينها يتفضعن • وكان صدغها يختلجان •

فصاح مارتان :

- انى خائف !

لم يتغير شيء فى المسكن • ودخلت عربة صغيرة فى الفناء وسمع
صوت الحارسة الحاد •

ان الناظر الى مدام مارتان ليظن أنها تبسذل بمفردها مجهودا
جبارا ، لكى تجتاز جبلا لا يمكن الوصول اليه • ومرتان ، رسمت
يدها حركة من يبعد شيئا عن وجهه •

وأخيرا ازدردت ريقها ، وابتسمت ابتسامة شخص يبلغ بغيته :

- ومع ذلك فستأتون جميعا لتسالونى بعض النقود •
سأطلب الى موثق عقودى ألا يعطيكم شيئا ••

واختلج مارتان من قدميه حتى رأسه • فقد أدرك أن هذا ليس
هذيانا عابرا ، نتج عن الحمى •

لقد فقدت صوابها نهائيا !

- لا يمكن أن يحقق أحد عليها • فهى لم تكن أبدا كسواها تماما ،
اليس كذلك ؟

قالها مارتان بأسى :

كان ينتظر تأكيد ميجريه •

- مسكين يا مارتان ••

كان مارتان يبكى ! وكان يمسك يد زوجته ويحكها فى وجهه ،
وكانت هى تدفعه عنها • وكانت على شفيتها ابتسامة متعالية
محتقرة •

- لا أكثر من خمسة فرنكات مرة واحدة •• لقد قاسيت بما
فيه الكفاية ، أنا ، من •••

فقال ميجريه :

- سأقتل • بسانت - أن ••

- هل تعتقد •• هل من الضرورى احتجازها ؟••

أهى قوة العادة ؟ لقد ابتأس مارتان لفكرة مفادرة مسكنه •
هذا الجو من التأنيب والإعراك اليوميين ، وهذه الحياة القسفرة •

وهذه المرأة التي تحاول ، للمرة الأخيرة ، أن تفكر ، لكنها تنقطع وتغلب على أمرها ، فترقد وعلى شفقتها ابتسامة عريضة وهي تهذى :

— احضروا لى المفتاح ..

وبعد لحظات كان ميجريه يجتاز زحام الشارع ، كرجل غريب ، والأمر الذى كان يحدث له نادرا ، أنه شعر بصداق فظيع ، فدخل صيدلية ليبتلع قرصا من الاسبرين .

كان لا يرى حوله شيئا . وكانت ضوضاء المدينة تختلط بضوضاء أخرى ، بأصوات بشرية على وجه الخصوص ، كانت لاتزال تدوى فى نافوخه .

كانت هناك صورة متسلطة عليه أكثر من غيرها من الصور % صورة مدام مارتان ، وهي تنهض ، وتلتقط ملابس زوجها من الأرض وتبحث فيها عن النقود ! ومارتان ينظر اليها من سريره .

والمرأة توجه اليه نظرة مستفسرة فيقول :

— لقد أقيتها فى السجن ..

ومنذ ذلك الحين وهذا الصداق قائم فى رأسها . أو بالأحرى هذا الحلل ! عندما كانت تعيش فى محل حلوانى « سان - مو » .

كل ما هناك أن هذا لم يكن يبدو للعيان . فقد كانت فتاة أقرب الى الجمال . ولم يكن أحد ليهتم بشفتيها المفرطتين فى الدقة .

وتزوجها كوشيه !

— ماذا ساصبح لو وقع لك سوء ؟

واضطر ميجريه للانتظار ، لكى يعبر شارع بومارشيه . ودونما صعب راح يفكر فى « نين » .

— لن تحصل على شيء ! . ولا درهم . هكذا دمدم ميجريه بصوت خفيض - فستبطل الوصية . ومام كوشيه الثانية هى التى ..

ولابد أن العقيد بدأ اجراءاته . كان هذا أمرا طبيعيا . وقد تحصل مدام كوشيه على كل شيء ! على كل الملايين ..

انها سيدة مرموقة ، تعرف كيف تحافظ على كرامتها ..

وصعد ميجريه فى السلم فى بقاء ودفع باب شقته ببشارع
« ريتشارد لونوار » .

— فمن من الذى وصل ؟

كانت مدام ميجريه تضع فوق غطاء المائدة الابيض أربعة أطقم
ولم ميجريه فوق « البوفيه » ابريقا من « القراصية » .

— اختك ؟

لم يكن تخمين ذلك بالامر العسير ، ما دامت فى كل مرة تأتي
فيها من « الزاس » ، كانت تحضر معها ابريقا من الكحول وفواكه
وفخذ خنزير مقددا .

— لقد خرجت لتقوم ببعض الجولات مع أندريه .

زوجها ! شاب طيب يدبر مصنعا للطوب .

— يبسود عليك الارهاق . . . أتعشم ألا تخرج اليوم اطلاقا ؟
على الأقل ؟

ولم يخرج ميجريه . وفى التاسعة مساء ، كان يلعب مع أخت
زوجته وزوجها لعبة القزم الأصفر . وكانت « القراصية » تعقب
بجو حجرة الطعام .

وكانت مدام ميجريه تنطلق ضاحكة بين لحظة وأخرى لأنها لم
تتوصل بعد الى معرفة أوراق اللعب فكانت تأتى كل ما يتصوره
العقل من حماقات .

— هل أنت متأكدة أنه ليس معك تسعة ؟

— أجل ، معي . . .

— إذن ، فلماذا لا تلعبين ؟

كان هذا كله بالنسبة لميجريه ، يمثل حماما ساخنا . قلم بعد
يشعر بالصداع . لم يعد يفكر فى مدام مارتان ، التى حملتها احدى
عربات الاسعاف فى طريقها الى « سانت - آن » ، بينما كان زوجها
ينتحب وحيدا على السلم الحال .

((تمت))

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز لاهوت عامح السقاني

في العالم العزني
من القاهرة

يصدر عنها

مجلات عالمية

مناهج شوية
من الشرق والغرب
كتب سياسية
كتاب فريضة
في امر العالم
امتنا للاجني
امتنا للطالب
دراسات امنا
ريائل ماسية

كتب الدار

نيولورات

لندن

البحر اير

بيروت

طرابلس

بغداد

المختطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الاذاع والذيقير

مجلة بنار الوطن

ARAB
OBSERVER

ARAB
OBSERVATEUR

Le Scribe
ARAB NEWS

Le Scribe
REVUE ARABE

Le Scribe
REVUE ARABE

Le Scribe
REVUE ARABE

kh

Bibliotheca Alexandrina



0540432